من صور التفسُّح الصوتي
في اللغة عند الخزّاز
من خلال كتابه
"التفسُّح في اللغة"

دكتور

حسين خميس محمود شحاتة

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى ،

والمساعد بكلية الآداب جامعة بني سويف

مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود (العدد الثالث والثلاثون)

من صور التفشُّح الصوتي في اللغة عند الخزَّاز من خلال كتابه "التفشُّح في اللغة"

حسين خميس محمود شحاتة

الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية جامعة أم القرى ، والمساعد بكلية الآداب جامعة بني سويف

البريد الإلكتروني:hkshehata@uqu.edu.eg

الملخص:

هذه الدراسة بعنوان "من صور التفشُّح الصوتي في اللغة عند الخزَّاز من خلال كتابه "التفشُّح في اللغة"

هدف الدراسة: رصد صور التفشُّح الصوتي في كتاب التفشُّح في اللغة للخزاز، ومعالجة هذه الصور في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث، وتفسير لماذا عُدَّت هذه الظواهر الصوتية صورًا من صور التفشُّح في اللغة. وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها أول دراسة متخصصة تناولت صور التفشُّح الصوتي في كتاب الخزَّاز.

خطة الدراسة: وقع البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة. المبحث الأول تحدثت عن الخزَّاز وكتابه التفشُّح في اللغة،والمبحث الثاني تحدثت فيه عن التفشُّح الصوتي،من حيث مفهومه،وأغراضه...والمبحث الثالث تحدثت فيه عن صور التفشُّح الصوتي التي وردت عند الخزَّاز من خلال كتابه،وتناولتها بالتفصيل،ومنها:الإمالة،والإتباع،والإبدال.....

ثم الخاتمة، واشتملت على النتائج التي توصلت إليها الدراسة،ومنها:

– أبرزت الدراسة أهمية كتاب التفشُّح في اللغة للخزَّاز ،إذ إنه أول مؤلف لغوي موجَّه للحديث عن ظاهرة التفشُّح بصورها المختلفة على المستويات اللغوية كافة.

– تنوع صور التفشُّح الصوتي في كتاب الخزَّاز، ما بين الإمالة، والإبدال،

والإتبـاع، وغيـر ذلك،وهـذا يشـي بسـعة انتشـار التفسُّـح الصـوتي فـي اللغـة،كمظهر مـن مظـاهر التخفيـف فـي النطق،وهـذا التخفيـف يُعدُّ غرضًـا أساسيًّا من أغراض التفسُّح الصوتي.

– الإبدال الصوتي– بصوره المحتلفة – من أكثر الصور الصوتية التفسُّحية اللغوية ورودا في الكتاب،وهذا يعني أنه منتشر بغزارة في كلام العرب.

– صور التفسُّح الصوتي اللغوي في الكتاب أظهرت أنَّ اللغة العربية قادرة على التوليد،والتطور ،والتخلص من كل ما هو ثقيل على اللسان.

–**الكلمات المفتاحية:** التفسُّح، الحزَّاز، الصوتي.

مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود (العدد الثالث والثلاثون)

From the pictures of the phonemic expanse in the language of the al-Khazaz, through his book

Hussein Khamis Mahmoud Shehata
Associate Professor at the Faculty of Arabic Language, Umm Al-Qura University, and Assistant Professor at the Faculty of Arts, Beni Suef University
Email: hkshehata@uqu.edu.eg

Abstract :
The current study "Certain Forms of Phonetic Expansion in Language as Mentioned by Alkhazzaz in His Book Expansion in Language.
The purpose of the study is to state forms of phonetic expansion in Alkhazzaz's book and dealing with them in view of modern phonetic lesson as well as explaining and interpreting why such phonetic phenomena are forms of expansion in language. The significance of this study lies in being the first specialized study talking about phonetic expansion forms in Alkhazzaz's book.
Study plan: The research consisted of an introduction, three chapters, and a conclusion. chapter one talked about Alkhazzaz and his book. Chapter two tackles the forms of phonetic expansion in terms of concept, purposes and the like. Chapter three deals with forms of phonetic expansion mentioned by Alkhazzaz in his book in detail including tilt, following, and replacement.
The conclusion presented the most significant findings reached by the study such as:
-The study highlighted the impost5ance of Alkhazzaz's book "Expansion in Language" as the first linguistic book specialized in talking about expansion in its different forms at all linguistic levels.
-Diversity of phonetic expansion in Alkhazzaz's book such as tilt, following, and replacement implies the spread of phonetic expansion in language as a form of easiness in uttering which is a basic purpose of phonetic expansion.
-Phonetic replacement in its different forms is one of the most common linguistic expansion forms stated in the book. This means that it is popular in the Arab's tongue.
-Forms of linguistic expansion in the book revealed that Arabic language is able to generate and develop as well as getting rid of the heavy items on tongue.

Keywords : Expansion – Alkhazzaz – Phonetic

المقـدمة

التفسُّح أو الاتساع في اللغة بابٌ من أبواب شجاعة العربية كما وسمه ابن جني، وهو دليلٌ على مرونتها، والمتمثل في قدرتها على العدول عن الأصل، وبرهانٌ على قدرتها على التطور والاتساع، مع الاحتفاظ بقدرتها على إرادة الأصل، وهو –أيضًا– دليل فصاحة وبيان، فالعربي إذا علت فصاحته، تفسَّح واتَّسع في كلامه.

ومصطلح التفسُّح أو الاتساع تعددت حوله رؤى القدامى والمحدثين، إلا أنها تجتمع كُلُّها على وسمه بالعدول عن الأصل لعلة، أو لغير علة، مع بقاء المعنى الأصلي للعبارة – غالبًا– على ما كانت عليه قبل التفسُّح.

وأول المؤلفات المستقلة التي كُتبت في هذا الباب، كتاب التفسُّح في اللغة للإمام الخزَّاز في القرن الرابع الهجري، وتبدو أهمية هذا السفر في كونه أول كتاب أُفرد لتناول هذه الظاهرة في اللغة، ويحمل عنوانًا باسم هذه الظاهرة، وهذا الكتاب مَليء بصور التفسُّح في اللغة على المستويات اللغوية كافة، النحوية، والدلالية، والصرفية، والصوتية، والبلاغية.

وقد لفت انتباهي في هذاالكتاب كثرة صور التفسُّح الصوتي، وتنوعها؛ مما دفعني إلى جمعها، وعمل دراسة عليها؛ وعليه فقد سعيت في هذه الدراسة – التي نحن بصددها– إلى دراسة معظم صور التفسُّح الصوتي في اللغة، من خلال هذا الكتاب المهم.

وجدير بالذكر أنَّ الدراسة لم تتطرق لصور التفسُّح اللغوي في المستويات اللغوية الأخرى؛ وذلك لسببين: الأول: كثرة الدراسات التي قامت على التفسُّح في هذه المستويات في هذا الكتاب وغيره من المؤلفات، ككتاب سيبويه. ثانيًا: عدم وجود – فيما أعلم– دراسة قامت على صور التفسُّح الصوتي في اللغة بوجه عام، وفي كتاب الخزَّاز هذا بوجه خاص، وهذا السبب كان من الأسباب القوية للشروع في هذه الدراسة.

ومن ثمَّ **فهدف البحث** يتمثل في رصد صور التفسُّح الصوتي في كتاب التفسُّح في اللغة للخزَّاز، ومعالجة هذه الصور في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث، وكذلك بيان وتفسير لماذا عُدَّت هذه الظواهر الصوتية صورًا من صور التفسُّح في اللغة؟

ولتحقيق هذا الهدف تبنت الدراسة المنهج الوصفي، المعتمد على أداة التحليل في غالبية الدراسة، القائم على رصد صور التفسُّح الصوتي في الكتاب، وتحليلها في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث؛ لمعرفة سبب كونها تفسُّحًا في اللغة(١).

وسبب اختيار هذا الكتاب لإقامة الدراسة عليه-كما ذكرت آنفا- يرجع إلى أنه الكتاب الفريد، الذي أُفرد للحديث عن ظاهرة التفسُّح في اللغة. وأمَّا عن سبب اختيار التفسُّح الصوتي – في هذا الكتاب- دون غيره من المستويات اللغوية، فيرجع ذلك إلى عدم وجود دراسة سابقة بهذا العنوان – فيما أعلم- على هذا الكتاب. ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة. **أمَّا ما يتعلق بالدراسات السابقة في هذا الموضوع، فهي متنوعة، وكثيرة، منها على سبيل المثال، لا الحصر:**

- التوسُّع في كتاب سيبويه، للباحث عادل العبيدي. (كتاب مطبوع).
- ظاهرة الاتساع في الدرس النحوي، قراءة في فكر أبي علي الفارسي، للباحث رياض الحسيني. (بحث منشور).

(١) جدير بالذكر أن منهج تناول الصورة التفسُّحية في البحثكان كالتالي: أولا: عرض عنوان الصورة التفسُّحية، ثم نقل كلام الخزَّاز عنها، ثم التعقيب عليها بالدرس والتحليل في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث. وقد لجأت – في بعض الأحيان فيما يتعلق بالصور التفسُّحية، التي لها تفرعات كثيرة، وأمثلة متنوعة عند الخزَّاز- إلى ذكر الصورة التفسُّحية، ثم تمهيد عنها، ثم أنقل -بعد ذلك- كلام الخزَّاز، ثم أذكر -بعد ذلك- التحليل، والتفسير الصوتي.

- ظاهرة الاتساع في اللغة عند ابن جني، للباحث حسن سليمان حسين. (بحث منشور).
- مفهوم الاتساع وضوابطه في علم النحو، للباحث بهاء الدين عبد الوهاب. (كتاب مطبوع)
- أبو الحسين النحوي وكتابه التفسُّح في اللغة، دراسة وتقويم، للباحثة سارة الحربي. (رسالة مخطوط).

ويلاحظ على هذه الدراسات السابقة، وغيرها، أنها تشترك –جميعها – في عدة أمور:

١- أنَّ جُلَّ هذه الدراسات كانت منصبَّة على التفسُّح النحوي، بصوره المختلفة، دون غيره من صور التفسُّح في المستويات اللغوية الأخرى.

٢- أنَّ هذه الدراسات، سواء أكانت دراسة على كتاب بعينه، أم عند مؤلف معلوم، اهتمت بالجانب الاصطلاحي للاتساع، على حساب الجانب التطبيقي لصور الاتساع المختلفة على المستويات اللغوية كافة، إضافة إلى طغيان المعنى النحوي فيها على الجانب الاصطلاحي للاتساع.

٣- لم تعط هذه الدراسات التفسُّح الصوتي حقَّه من الدرس والبحث، بل إنَّ بعضها لم يشر إليه من قريب أو بعيد، اللهم إلا بعض الإشارات في دراسة عادل العبيدي "التوسُّع في كتاب سيبويه"، حيث أشار في أحد مباحث الدراسة إلى التوسُّع الصوتي عند سيبويه، بيد أنَّ تناوله جاء مقتضبًا جدًّا، ولم يتناول كل صور التفسُّح الصوتي. والدراسة الثانية للباحثة سارة الحربي "أبو الحسين النحوي وكتابه التفسُّح في اللغة دراسة وتقويم"، وهو الكتاب الذي نحن بصدده؛ حيث أفردت الباحثة في أحد الفصول مبحثًا مقتضبًا عن مستويات التفسُّح اللغوي في الكتاب، وأشارت فيه إلى التفسُّح على المستوى الصوتي عَرَضًا؛ حيث إنَّ تناولها كان سطحيًّا جدًّا، يميل إلى النظرة الشمولية، دون

التفصيل، ويكفي للدليل على ذلك، أنها جعلت التفسُّح في المستوى الصرفي والصوتي، تحت عنوان واحد. وهذه الدراسة–في الأساس–لم تكن موجَّهةً لدراسة مستويات التفسُّح داخل الكتاب، بل كانت معنيَّةبقضايا أخرى كثيرة، منها: منهج المؤلف في تأليف الكتاب، ومذهبه النحوي، وحياته، وآراؤه النحوية، والصرفية، والبلاغية، والمآخذ على الكتاب، وغير ذلك.

أمَّا عن حدود الدراسة: التزمتْ الدراسة بغالبية الظواهر الصوتية التي ذكرها الخزَّاز في كتابه " التفسُّح في اللغة "بتحقيق الدكتور عادل العبيدي، سواء صرَّح الخزَّاز نفسه بتفسُّحها أم لا؛ وذلك لأن الخزَّاز–كثيرا– ما يذكر الظاهرة، دون أن يشير إلى تفسُّحها أو توسُّعها، اعتمادا منه على أنَّ جميع ما أورده في هذا الكتاب من أمثلة صوتية، تدخل تحت باب التفسُّح أو التوسُّع. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقع في مقدمة، تتلوها ثلاثة مباحث، وتعقبها خاتمة.

المبحث الأول جاء بعنوان: الخزَّاز وكتابه التفسُّح في اللغة، وتناولت فيه أمرين:

أ– الخزَّاز ، نشأته، وحياته، ومؤلفاته.

ب– كتاب التفسُّح في اللغة وأهميته.

المبحث الثاني: جاء بعنوان: التفسُّح الصوتي، تناولت فيه:

أ– مفهوم التفسُّح لغة واصطلاحًا.

ب– إشارات القدامى والمحدثين للتفسُّح الصوتي.

ت– مفهوم التفسُّح الصوتي.

ث– أوجه التشابه والاختلاف بين التفسُّح الصوتي، وغيره من التفسُّح في المستويات اللغوية الأخرى.

ج– أهم أغراض التفسُّح الصوتي في اللغة.

المبحث الثالث: من صور التفسُّح الصوتي في اللغة عند الخزَّاز:

تناولت فيه معظم صور التفسُّح الصوتي التي ذكرها الخزَّاز في كتابه التفسُّح في اللغة، وهي كالتالي:

- الصورة الأولى: الإمالةالصوتية.
- الصورة الثانية: الإتباع الحركي.
- الصورة الثالثة: الإبدال الصوتي.
- الصورة الرابعة: مدالمقصور وقصر الممدود.
- الصورة الخامسة: الحذف.
- الصورة السادسة: القلب المكاني.
- الصورة السابعة: المخالفةالصوتية.
- الصورة الثامنة: زيادة الصوامت.
- الصورة التاسعة: تسهيل الهمزة، بإبدالهاياء.

ثم **الخاتمة**، تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وثبت المراجع والمصادر التي رجعت إليها. وأخيرا فإن الكمال لله وحده، وما هذا البحث إلا عمل بشريٌّ، قابل للتقويم، وحسبي أني اجتهدت –قدر استطاعتي–؛ لإخراج هذه الدراسة على هذه الصورة. وأحسب أنها أول دراسة متخصصة في باب التفسُّح الصوتي في اللغة، في أول مؤلف مستقل، تناول ظواهر التفسُّح في اللغة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحث

المبحث الأول
الخزَّاز وكتابه التفسُّح في اللغة

أ- الخزَّاز، نشأته، وحياته، ومؤلفاته.[١]

١- **اسمه وكنيته ولقبه:** هو عبد الله بن محمد بن سفيان، وكنيته أبو الحسين النحويّ، وقد لُقِّب بألقاب كثيرة، منها: النحوي، والبغداديّ، والخزَّاز.[٢]

٢- **مولده ونشأته:** لم يتطرق إلى حياته ونشأته كثير من المؤرخين، ولذلك اكتنفها غموض كبير، إلا أنَّ بعض المصادر ذكرت أنه كان يعيش ببغداد، ونشأ بها؛ لأنه تتلمذ على يدي المبرِّد وثعلب.[٣]

٣- **مذهبه العقدي، والنحوي:** كان الخزَّاز معتزليًّا، وهذا ما أقرَّ به في كتابه" التفسُّح في اللغة"، حيث نوَّه إلى أن العبد يخلق أفعاله، حيث عقَّب على قوله تعالى "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[٤] بقوله: "أي: يسميهم ضلالا"[٥] **أمَّا مذهبه النحوي**، فتشير آراؤه، واختياراته النحوية في كتاب التفسُّح إلى ميله

---

(١) لا أدَّعي أنني أول من ترجم للخزَّاز، ومؤلفه " التفسُّح في اللغة "، بل سبقني إلى ذلك باحثان، هما الدكتور عادل العبيدي، محقق كتاب التفسُّح في اللغة للخزاز، والدكتورة سارة الحربي في بحثها الموسوم بـ" أبو الحسين النحوي وكتابه التفسُّح في اللغة " دراسة وتقويم. وقد حاولت – من خلال هذا المبحث – أن أسهم – بجهد متواضع– في عرض ترجمة موجزة، جامعة، مانعة، للخزاز، وكتابه" التفسُّح في اللغة"، استدركت فيها ما غفل عنه الباحثان.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١٨٨/١١، تاريخ بغداد ١٢٢/١٠، الكامل في التاريخ ٦٦/٧، إنباه الرواة على أنباه النحاة ١٢٠/٢–١٢١، ومعجم المفسرين ٣٢٠/١–٣٢١، والفهرست ١١٠/١ (وجدير بالذكر أنَّه ذكر في الفهرست بكنية "أبو الحسن" بدلا من "أبو الحسين".

(٣) انظر: المراجع السابقة.

(٤) سورة التوبة، آية ١١٥

(٥) انظر: التفسُّح في اللغة، ص١٩٠، حيث نفى أن تكون الضلالة والهداية من الله؛ لأنه يؤمن بأن العبد يخلق أفعاله، وقد أشار– أيضا – إلى ما يؤكد هذا المذهب في مواضع عدة في كتابه، انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢٨–٢٩.

للمذهب البصري، ولا غرو في ذلك؛ فقد تلقّى النحو على أعتاب المبرِّد وثعلب. وخير دليل على ميوله للمذهب البصري، إقراره بالقياس، ووسمه أهل البصرة بالفقهاء في اللغة، إضافة إلى شيوع المصطلحات البصرية – بكثرة – في كتابه التفسُّح.(١)

٤- **مكانته العلمية:** كان الخزَّاز ثقة، وله مؤلفات علمية كثيرة، تنمُّ عن عقلية علمية متميزة في تخصصها، ونقل عن المبرِّد وثعلب، كذلك تتلمذ على يديه عدد من الطلاب. يقول عنه صاحب معجم المفسرين: نحويٌّ، لغويٌّ، من تلاميذ المبرِّد وثعلب، كان مُعلِّمًا في دار الوزير العادل علي بن عيسى الجراح الكاتب.(٢) وقال عنه القفطيُّ:ورأيت بخطه كتاب شعر أبي تمام، وهو في غاية الإتقان.(٣) ونقل ابن فارس نصًّا يشير فيه إلى الخزَّاز، وأنه تتلمذ على يد المبرِّد.قال ابن فارس:قلت:وأبو إسحاق ثقة، غير أني سمعت أبا الحسين عبد الله بن سفيان النحوي الخزَّاز يقول:الاسم مشتق من" سما"إذا علا.(٤)

وجنح **القفطيُّ** إلى أنه من النحويين الذين خلطوا المذهبين، ومن تصانيفه: معاني القرآن(٥)

٥- **شيوخه الذين أخذ عنهم:**من الشيوخ الذين أخذ عنهم:أبو العباس المبرِّد، وأبو العباس ثعلب، والقاضي إسماعيل بن إسحاق. وقال عنه أبو الفتح

---

(١) انظر: التفسُّح في اللغة ص١٩٧-١٩٨، و" أبو الحسين النحوي وكتابه التفسُّح في اللغة " دراسة وتقويم، ص٢٩٩-٣٠٠، حيث خصصت الباحثة فصلا مستقلا عن مذهبه النحوي.

(٢) انظر: معجم المفسرين ١/٣٢٠-٣٢١

(٣) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/١٣٥

(٤) انظر: الصاحبي في فقه اللغة ١/٥٣

(٥) انظر: إنباه الرواة علة أنباه النحاة ٢/١٣٥

عبيد الله بن أحمدالنحوي:صاحب إسماعيل وورَّاقه، ومن قرأ على المبرِّد كتاب سيبويه.(١)

٦- **تلاميذه:** من أشهر تلاميذه: عيسى بن علي بن عيس الجراح ابن الوزير، ذكر ذلك الخطيب البغدادي.(٢)، وأبو الحسين أحمد بن علي الأحول، ذكر ذلك ابن فارس في كتابه، حيث قال:سمعت أبا الحسين أحمد بن علي الأحول يقول:سمعت أبا الحسين عبد الله بن سفيان النحوي الخزَّاز.(٣)

٧- **مؤلفاته:** ذكرت المصادر أنَّ للخزاز عددًا كبيرًا من المؤلفات، بيد أنَّ معظمها مفقود، ولم يظهر منها إلا نذر يسير، ومن هذه المؤلفات:

- التفسُّح في اللغة.(كتاب منشور محقق).
- كتاب المختصر في علم العربية.(مفقود).
- الفصاحة.(مفقود).
- المقصور والممدود.(مفقود).
- المذكر والمؤنث.(مفقود).
- معاني القرآن.(٤) (مفقود) .

٨- **وفاته:**أجمعت المصادر على أنه تُوفي يوم الثلاثاء، لليلة بقيت من شهر ربيع الأول، سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.(٥).

---

(١) انظر: البداية والنهاية ١٨٨/١١، وتاريخ بغداد ١٢٢/١٠

(٢) انظر: تاريخ بغداد ١٢٢/١٠، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ١٢٠/٢-١٢١

(٣) انظر: الصاحبي في فقه اللغة ١٠٠/١

(٤) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة ١٣٥/٢، والفهرست ١١٠/١، والتفسُّح في اللغة، ص/٢٣ ، ص/٧٩

(٥) انظر: تاريخ بغداد ١٢٢/١٠، الكامل في التاريخ ٦٦/٧، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٣٦٩/١٣، البداية والنهاية ٢١٣/١١

ب- كتاب التفسُّح في اللغة وأهميته:

تبرز أهمية هذا الكتاب-كما ذكرت في المقدمة-في كونه أقدم المصادر المتخصصة، التي وصلت إلينا، عن ظاهرة التفسُّح اللغوي، وتحمل عنوانًا بهذا الاسم.وقد صرَّح محقق الكتاب في مقدمة التحقيق بأهمية الكتاب، قائلا:"هو بحث جمٌّ الفوائد، كثير المنافع، متعدد الوجوه، كتابٌ يتردد فيه النحو والصرف، والإعراب، والقراءات، واللهجات، فضلاً عن الفصاحة والبلاغة والبيان.[1] وقد اشتمل الكتاب على ظواهر التفسُّح في اللغة على جميع مستوياتها، سواء النحوية، أوالصرفية، أو الصوتية، أو الدلالية، أو البلاغية، وتحدَّث الخزَّاز فيه عن مسائل متنوعة في اللغة.وفيما يخص التفسُّح الصوتي، فقد ظهر جليًّا في الكتاب ذكر ظواهر صوتية، تعدُّ صورًا من صور التفسُّح الصوتي في اللغة، كالإمالة، وتسهيل الهمزة، وغيرهما.والكتاب يتميزبأنه سهل العبارة، وجزيل اللفظ، واضح المعنى، يمكن فهم المراد منه بسهولة.

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، مقدمة التحقيق، ص/١٠

المبحث الثاني
التفسُّح الصوتي

أ- مفهوم التفسُّح لغة واصطلاحا.

- **لغة**:تدور مادة (فَسَحَ) في المعاجم اللغوية حول معنى السَّعة والتوسُّع، فهي مرادفة لمادة (وَسِعَ) بكل استعمالاتها، وهذا ما تبنَّاه البحث.يقول الجوهريُّ: وسَّعتُ الشيء فاتسع، واستوسع، أي:صار واسعًا، وتوسَّعوا في المجلس، أي:تفسُّحوا.(١) ويقول–أيضا–:الفُسْحةُ:السَّعة، ومكان فسيح، ومجلس فَسِح على فَعِل، أي:واسع، وفسَّح له في المجلس، أي: وسَّع له، وانفسح صدره، أي:انشرح، وتفسَّحوا في المجلس، وتفاسحوا، أي: توسَّعوا.(٢)

والتفسُّح مصدر للفعل"تَفسَّح"على وزن"تفعَّل"، وهو مأخوذ من الفعل الثلاثي" فَسَح"، وهو بمعنى"وَسِع".وفسَّحت للرجل في المجلس، إذا وسَّعت له..ولك في الأمرفُسْحة، أي: متَّسعٌ.(٣) وجنح الراغب الأصفهاني إلى أنَّ مادة "تَفَسَّح" تدل على المطاوعة؛ حيث قال:الفُسْحُ، والفَسِيْحُ: الواسِعُ من المكان، والتفسُّح:التوسُّع، يقال:فسَّحتُ مجلسه فَتَفَسَّح فيه. قال الله تعالى "**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ**"(٤) ومنه قيل: فسَّحتُ لفلان أن يفعل كذا، كقولك:وسَّعتُ له، وهو في فُسحةمن هذا الأمر."(٥) وقدتأتي لفظة "التفسُّح" في اللغة مرادفة للفظة التسامح، والتجوّز، كما عند **الشهاب الخفاجي** في حاشيته على البيضاوي، إذ قال:وزرته والليل ظلم، أي:مانع من الزيارة، وفي الأساس ماظلمك أن تفعل كذا، أي: ما منعك،

---

(١) انظر: الصحاح (فَسَحَ) ١٢٩٨/٣

(٢) انظر: المرجع السابق (فَسَحَ) ٣٩١/١، وتهذيب اللغة ١٩٠/٤، واللسان ٥٤٣/٢

(٣) انظر: جمهرة اللغة لابن دُريد ٥٣٢/١

(٤) سورة المجادلة، جزء من آية١١

(٥) سورة المجادلة، آية١١

ومنه الظلمة؛ لأنها تسدُّ البصر، وتمنعه من النفوذ، فقيل:هو بعيدٌجدًّا، ووجه استبعاده ما فيه من جعل المعنى الحقيقي المشهور مأخوذا من معنى مجازي غيرمعروف، وقدعرفت ما يدفعه، وقيل:سدَّ البصر، ومنع الرؤية؛ بناء على ما يعتقده الجمهور، فلا يتجه عليه أنَّ الكلام لايكون مانعًا، فيقال إنه مبنيٌّ على رأي غير مقبول من أنه كيفية وجودية، وعدم الشرط لا يكون مانعاً عن وجود المشروط، فعده مانعًا مبني على التوسُّع والتسامح.(١) ويقول في موضع آخر:... إذا كانت (أو) موضوعة للتساوي في الشك الوارد في الخبر، فما وجه استعمالها مع الأمر وغيره من الطلب، وإرادة غير ذلك بلا شك، فأجاب بأنه وارد على التوسُّع والتجوّز، وفي شرح الهادي (أو)، لما كانت للتساوي المشكوك فيه، جاءت للتساوي من غير شك على الاتساع .(٢)

مما سبق نستنتج أنَّ التفسُّح في اللغة يعني السَّعة والاتساع، وأنَّ مادة"فَسَح"مرادفة لمادة"وَسِع"، بيد أنَّ **الأزهريَّ** عندما تحدَّث عن مادة "فَسَحَ"، نقل عن الليث كلاماً يفهم منه التفرقة بين اللفظتين، من حيث المعنى، حيث تدل كلٌّ منهما على السَّعة والاتساع، بيد أنَّ التفسُّح يزيد عن معنى الاتساع، بدلالته على المبالغة في الاتساع، حيث قال (فَسَح):الليث: الفُسَاحةُ:السَّعَةُ الواسِعة في الأرض، تقول: بلدٌ فَسِيحٌ، ومفازة فَسِيحةٌ، وأمر فسيح، ولك فَسْحةٌ، أي: سَعة (٣) وثمة دليل آخر يؤكد هذا الفرق الدقيق بين اللفظتين، وهو ما ذكره **ابن جني** – في كلامه عن أغراض اللغة، حيث أورد اللفظتين مجتمعتين في سياق واحد؛ مما يوحي بوجود فرق بينهما، حيث قال:"على أنهم قد يستعملون من الكلام ما غيره أثبت في نفوسهم منه سعة في التفسُّح، وإرخاء للتنفيس،

(١) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٣٧٤/١-٣٧٥
(٢) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٣٨٩/١
(٣) انظر: تهذيب اللغة ١٩٠/٤

وشحًّا على ما جشموه، فتواضعوه، أن يتكارهوه.فيلغوه، ويطّرحوه، فاعرف مذهبًا لهم، ولا تطعن عليهم، متى ورد عنهم شيء منه"[١].

-التفسُّح اصطلاحا:

لا يختلف معنى التفسُّح في الاصطلاح -كثيرًا -عن معناه اللغوي ؛ إذ إنه يدور حول معنى السَّعة والاتساع، وهذا المصطلح من المصطلحات التي لم تحدَّ بحدود معينة، وليس له معياريةثابتة، كباقي المصطلحات، وعليه فليس للتفسُّح مصطلح ثابت، يمكن الاعتماد عليه في التعريف، ولكننا يمكن أن نُجْمِل-بناءً على استقرائنا لما ورد عن هذا المصطلح في كلام اللغويين-معناه الاصطلاحي في أنه:عدول اللغة عن الأصل على مستوياتها كافة، لتحقيق غرض ما، كالتخفيف، أو الحذف، أو الإيجاز، أو غير ذلك من الأغراض، وقد يكون ذلك بلا غرض. وهذا المعنى الاصطلاحي يُعبِّرُ عن طبيعة اللغة ، المتمثلة في الميل إلى التطور والنمو، مع المحافظة على أصولها، إذ لا يعني الخروج عن الأصل إهمال الأصل، بل يبقى الأصل مستعملا.وهذا المعنى هو ما أشار إليه ابن جني بباب شجاعة العربية، فعدَّه سمة من سمات شجاعة العربية.ولعلي-هنا-أوجز ما قيل عن هذا المصطلح قديمًا وحديثًا، فمن القدماء، نجد أنَّ سيبويه قرن بين الاتساع والتفسُّح والاختصار، فالاتساع -عنده -يعني الاختصار، حيث قال:ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جَدُّه"وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ"[٢] إنما يريد أهل القرية فاختصر، وعمل الفعل في القرية، كما كان عاملًا في الأهل لو كان ها هنا.[٣]

---

(١) انظر: الخصائص ٣١٩/٣

(٢) سورة يوسف، آية ٨٢

(٣) انظر: الكتاب ٢١٢/١، و كلامه -هنا- محمول على الاتساع النحوي دون الاتساع في بقية مستويات اللغة الأخرى.

وعرَّفه ابن السرَّاج بقوله: "اعلم أنَّ الاتساع ضرب من الحذف، إلا أنَّ الفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله أنَّ هذا تقيمه مقام المحذوف، وتعربه بإعرابه، وذلك الباب تحذف العامل فيه، وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب، وهذا الباب العامل فيه بحاله، وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف، أو تجعل الظرف يقوم مقام الاسم..."(١)

ووسمه أبو علي الفارسي بأنه عدول عن الأصل، حيث ذكر أنه: خروج عن الأصل، والمألوف في اللغة، وتحوّل من أصل إلى فرع لمسوغ، ولا بد منه في الكلام، أو في نفس المتكلم، وما كل خروج ينبغي أن يكون اتساعًا.(٢)

وربط المبرِّد بين التفسُّح، وفكرة الأصل والفرع، حيث قال: والكلام يكون له أصل، ثم يتسع فيه فيما شاكل أصله.(٣)

وخصَّ **السيوطي**–مصطلح التفسُّح–بالتفسُّح الدلالي، وعدَّه من أنواع البديع، حيث قال عنه: أن يُؤتى بكلام يتسع فيه التأويل، بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني.(٤)

ومن المحدثين يقول الدكتور**محمد المبارك**:ا لاتساع هو: توسيع معنى اللفظ ومفهومه، ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعمّ وأشمل، وذلك لتحقيق غرض الإيجاز، أو الاختصار، والتخفيف، وغيرها من هذه الأغراض.(٥)وعرَّفه **الدكتورعادل العبيدي** بأنه: "ضرب من ضروب المجاز، ولون من ألوان التصرف في التعبير لمعنى يريده المتكلم".(٦) **وجنح الدكتور**

---

(١) انظر: الأصول في النحو ٢/٢٥٥

(٢) انظر: الحجة في علل القراءات السبع ١/١٧

(٣) انظر: المقتضب ١/٤٦

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/١٨٩–١٩٠

(٥) انظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ص/٢١٨، وهذا التعريف أكثر ميولا إلى الاتساع الدلالي، منه إلى الاتساع النحوي.

(٦) انظر: التفسُّح في اللغة، مقدمة المحقق، ص/٩

بهاء الدين عبد الوهاب إلى أنَّ الاتساع – من خلال كلام سيبويه – يعني: التصرف في العبارة بتغيير المعنى النحوي لبعض الكلمات بحذف أو بدون حذف؛ بغية الإيجاز والاختصار، اعتمادا على أنَّ المعنى الأصيل للعبارة مفهوم عند المخاطب، ولا يُحدِث هذا التغيير في المعنى النحوي إشكالًا لديه.(١)

وخلاصة القول: من كلام القدماء والمحدثين عن التفسُّح، يمكن إيجازه في أنَّ الجامع المشترك بين كل هذه التعريفات هو فكرة العدول والخروج عن الأصل؛ لتحقيق غرض ما، كالاختصار، أو الحذف، أو التخفيف، أو غيره من الأغراض، وقد يكون بلا غرض، مع الإبقاء على الأصل في الاستعمال. وقدنوَّه الخزَّاز في كتابه التفسُّح إلى أنَّ اللغة العربية من أكثر اللغات تفسُّحًا وتوسُّعًا، حيث قال: "ولا تُعلم لغة أوسع تفسُّحا، وأدقُّ تصرُّفًا من العربية، ولا أغمض مسلكًا، ولا أخصر إيجازًا، ولا أقدح للأذهان إفهامًا." (٢)

ب-إشارات القدامى والمحدثين للتفسُّح الصوتي:

لم ينل التفسُّح الصوتي حقَّه من البحث والدراسة، كما نالت بقية المستويات التفسُّحية الأخرى، حتى أننا نجد أنَّ مصطلح التفسُّح أو الاتساع إذا أُطلق – في الدرس اللغوي القديم أو الحديث– فإنه ينصرف إلى التفسُّح النحوي بصوره المختلفة، ولقدحظي التفسُّح النحوي بالعديد من الدراسات، قديمًا وحديثًا.(٣) أمَّا التفسُّح الصوتي، فإن ذكره كان عبارة عن إشارات متناثرة في

(١) انظر: مفهوم الاتساع في علم النحو، ص/٢١

(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢٢

(٣) ولعل السبب في عناية القدماء والمحدثين بالتفسُّح النحوي على حساب بقية المستويات اللغوية الأخرى، يرجع إلى كثرة صور التفسُّح النحوي، إذ إنها متخللة في غالبية الأبواب النحوية ، بلا استثناء.وتتبع ورود ظاهرة التفسُّح النحوي عند القدماء والمحدثين ليس محل اهتمامي في هذه الدراسة، إضافة إلى أنَّ الدراسات السابقة تناولت هذه المسألة بالتفصيل، فلا سبيل إلى إعادتها هنا.

بطون الكتب عند القدماء والمحدثين، وهناك من القدماء من ذكر مواضع التفسُّح الصوتي، دون أن يشير إشارة صريحة إلى أنها تمثل توسُّعًا أو تفسُّحا في اللغة، كسيبويه –مثلا–، بيد أنَّ المتمعن في كلامه يفهم منه ضمنيًّا، أنه قصد في هذه المواضع معنى الاتساع والتفسُّح. وهناك من القدماء من صرَّح بكون هذه المواضع الصوتية تمثل توسُّعًا وتفسُّحا، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر منهم:

- **الإمام الخزَّاز**:حيث قال–في أحد مواضع كتابه "التفسُّح"، مشيرًا إلى التفسُّح الصوتي في بابي الإمالة والحذف: "والعرب تُنقص الحرف من الاسم، وتُزيل الحرف، وتميل الحرف اتسَّاعا؛ ليعرف المعنى بالرسم الذي تريده، والعجم لا يتسعون كما تتسع العرب".(١)
- **ابن جني**: حيث يقول:"أمَّا على الجملة فإنَّ الإمالة والتفخيم في حروف المعجم ضربٌ من الاتساع، وذلك أنَّ الإمالة والتفخيم ضربان من ضروب التصرف". (٢)
- **الرضي**: حيث جعل المد والقصر بابًا من أبواب الاتساع، لكن ليس على إطلاقه، فقال– معقِّبًا على كلام ابن الحاجب: "وفي جعله للمقصور، والممدود، وذي الزيادة من باب التوسُّع مطلقانظرٌ؛ لأن القصر والمد إنما صِيْر إليهما في بعض المواضع بإعلال اقتضاه الاستثقال". (٣)
- **ابن عصفور**:حيث قال: والتخفيف الواقع في الكلمة، نحو:عَضْد في عَضُد، وفَخْذ في فَخِذ، وإبْل في إبِل، سائغ في حالة السَّعة، وهي لغة لقبائل ربيعة.(٤)

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٥
(٢) انظر: المحتسب ٣٦/٢
(٣) انظر: شرح شافية ابن الحاجب ٦٦/١
(٤) انظر: ضرائر الشعر، ص/٩٦

أمَّا **المحدثون:** فمنهم الدكتور **عادل العبيدي**، حيث خصَّص في كتابه- كما ذكرنا آنفا- مبحثًا عن الاتساع الصوتي عند سيبويه، وذكر أمثلة على ذلك، كالإمالة، والإتباع.(١)وكذلك دراسة الدكتورة **سارة الحربي**، حيث عقدت فيها فصلا عن الاتساع الصوتي والصرفي في كتاب التفسُّح، وقد سبقتْ الإشارة إلى ذلك في المقدمة.(٢)

ت-مفهوم التفسُّح الصوتي:

لا يبعد معنى التفسُّح الصوتي-كثيرا-عن معنى التفسُّح اصطلاحيًّا، في كونه يمثل عدولا عن الأصل الذي وضع عليه اللفظ غير أنه يفارقه في كونه يختص بالظواهر الصوتية في اللغة، كالإمالة، والإتباع، وغيرهما؛ ولذا عُرِّف بأنه: عدول عن الصورة الأصلية للقواعد والقوانين الصوتية المتعارف عليها في الكلام، وذلك لكثرة استعمالها، واطرادها، كالإمالة، والإتباع، والحذف، والإبدال، والقلب، وغيرها من الظواهر الصوتية، وذلك لغرض تحقيق التخفيف والسهولة في النطق، والتخلص من كل ما هو ثقيل على اللسان العربي. وهذا التفسُّح الصوتي متفشٍّ في كلام العرب، وهو أكثر من أن يحصى؛ لأنه سمة من سمات التخفيف في اللغة، يقول **السيوطي**: وهذا الاتساع في كلامهم أكثر من أن يحاط به" (٣).

ث-أوجه التشابه والاختلاف بين التفسُّح الصوتي، وغيره من التفسُّح في المستويات اللغوية الأخرى.

- **أوجه التشابه:** يتشابه التفسُّح الصوتي من حيث الكيفية مع التفسُّح في مستويات اللغة الأخرى، كالنحو، والدلالة، والصرف، حيث يمثِّلُ كلٌّ منها عدولا، وخروجًا عن الأصل الذي وضع له. فمثلًا: الإمالة، والتي تعني: جنوح الألف إلى الياء، إنما هي عدولٌ عن الأصل، وهو التفخيم؛ ولذلك

(١) انظر: التوسُّع في كتاب سيبويه، ص/٤١-٤٩
(٢) انظر: أبو الحسين النحوي وكتابه التفسُّح في اللغة دراسة وتقويم، ص/١٥١-١٦٤
(٣) انظر: الأشباه والنظائر ٣٠/١

عُدَّت الإمالة بابًا من أبواب الاتساع والتفسُّح في الأصوات. وكذلك –على سبيل المثال– الاتساع النحوي، المتمثل في الفصل بين المتضايفين، يعدُّ عدولا عن الأصل، وهو عدم الفصل، وهكذا في بقية المستويات الأخرى.

- **أوجه الاختلاف:** التفسُّح الصوتي يفارق التفسُّح في المستويات اللغوية الأخرى في أنه يتم بين أصوات الكلمة، وتكون صوره متعلقة بالظواهر الصوتية، داخل البنية الصوتية للكلمة، في حين نجد التفسُّح النحوي –مثلا– مرتبطًا بالقضايا النحوية في البنية التركيبية، وكذلك التفسُّح الصرفي مرتبطًا بقضايا العدول عن الأصل في البنية الصرفية، والتغيرات التي تحدث بها نتيجة هذا العدول، وكذلك التفسُّح الدلالي، نجده مرتبطًا بقضايا دلالات الألفاظ، وما حدث فيها من تفسُّح، يمثل خروجًا عن الأصل.

ج-أغراض التفسُّح الصوتي:

- **التخفيف:** سمة من سمات التفسُّح اللغوي –بوجه عام– على المستويات اللغوية كافة، يقول **سيبويه**–عند حديثه عن الإمالة، حيث ذكر أنها تؤدي غرض الخفة، والسهولة النطقية–: "فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك: عابد... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي، حيث قالوا: صدر، فجعلوها بين الزاي والصاد، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة.[١] ويقول **سيبويه** –أيضًا ناقلًا عن الخليل–: "فزعم الخليل أنَّ إجناح الألف أخف عليهم، يعني: الإمالة؛ ليكون العمل من وجه واحد.."[٢] وفي إبدال الهمزة هاء، يقول **ابن يعيش:** "قد أبدلت الهاء من الهمزة، والألف، والياء، والتاء، فأمَّا إبدالها من الهمزة، فقد أبدلوها منها إبدالًا صالحًا على سبيل

(١) انظر: الكتاب ١١٧/٤
(٢) انظر: المرجع السابق ٢٧٨/٣

التخفيف"[١]. وذكر أستاذنا الدكتور **رمضان عبد التواب** -رحمه الله- أنَّ القلب المكاني إنما وقع لغرض السهولة، وتخفيف النطق على اللسان، حيث قال: "القلب عبارة عن تقديم أصوات الكلمة على بعض؛ لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي، وهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك". [٢]

- **الاختصار والإيجاز**: وهو غرض- أيضًا- يتسم به الاتساع اللغوي على المستويات كافة، وليس خاصًّابالتفسُّح الصوتي، فمثلا الحذف بصوره المختلفة -سواء أكان متعلقًا بالتفسُّح النحوي، كحذف المبتدأ، أم متعلقًا بالتفسُّح الصوتي، كحذف الصامت أو الحركة -يرمي إلى الإيجاز والاختصار في الكلام، أو في النطق. يقول الدكتور **بهاء الدين عبد الوهاب**: الاتساع ضرب من التنوع في أساليب الكلام... والغاية منه:الإيجاز والاختصار، وتخفيف اللفظ، مع بقاء المعنى الأصلي للعبارة على ما كانت عليه قبل الاتساع.[٣]
- **التقارب والتماثل والتناسب**: التفسُّح الصوتي يهدف إلى إحداث نوع من التماثل والتقارب بين الأصوات المتباعدة؛ وذلك حتى يسهل نطقها على اللسان العربي، وهذا يبدو واضحًا في ظاهرة المماثلة الصوتية بين الأصوات؛ من أجل التقريب بين هذه الأصوات، ولذلك وسمها **سيبويه** بمصطلح المضارعة والتقريب.[٤]

وذهب ابن جني إلى أنَّ الإمالة -كصورة من صور التفسُّح الصوتي- تحقق نوعًا من التجانس بين الأصوات الممالة، حيث قال: "ألا ترى أنهم يقولون: إنَّ الإمالة إنما دخلت الكلام؛ ليتجانس الصوتان. قالوا: ولو قلنا:

---

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤٠١/٥

(٢) انظر: التطور اللغوي، ص٨٨-٨٩

(٣) انظر: مفهوم الاتساع في علم النحو، ص/٢٤

(٤) انظر: الكتاب ٤٧٨/٤

عالم، فلم تُمل؛ لكان النطق بكسرة اللام بعد إشباع الفتحة بالألف كالنزول في حدور من موضع عالٍ، فأملنا فتحة العين لتصير الألف بين الياء والألف، فتقرب بذلك من كسرة اللام، فيكون ذلك كالنزول من موضع غير مفرط العلو". (١)

- **إيضاح المعنى بأقصر الطرق وأسهلها**، فالتفسُّح الصوتي جِيء به لغرض إظهار المعنى دون تكلف أو تعقيد. يقول الخزَّاز: "والعرب تُنقص الحرف من الاسم، وتزيد الحرف، وتمُيل الحرف اتساعًا؛ ليعرف المعنى بالرسم الذي تريده". (٢)
- **بيان شجاعة العربية، وقدرتها على التوليد:** والتفسُّح الصوتي يُظهر قدرة اللغة على النمو والتوليد، وأنها لغة إقدام، وشجاعة، ومرونة، وهذا ما ذكره **ابن جني**، حيث عدَّ التفسُّح الصوتي –بصوره المختلفة– بابًا من أبواب شجاعة العربية. (٣)

(١) انظر: المنصف ٤٢/١
(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٥
(٣) انظر: الخصائص ٣٦٠/٢

المبحث الثالث

صور التفسُّح الصوتي في اللغة عند الخزَّاز

الصورة الأولى: الإمالة الصوتية:

قال أبو الحسين الخزَّاز:"فأهل مكةيُسمُّون (المسُوح)[1] التي يجعل فيها أصحابُ الطعام البُرَّ: البِلاس، والبَلس، وهو بالفارسية:بلاس وبلاسها، فأمَالوها، وأعربوها، فقاربت الفارسيةُ العربية في اللفظ والمعنى ....والعرب تُنْقِص الحرف من الاسم، وتُزيل الحرف، وتُميل الحرف اتساعًا؛ ليُعرف المعنى بالرسم الذي تريده، والعجم لايتسعون كما تتسع العرب"[2]

إذن الخزَّاز عدَّ الإمالة الصوتية صورة من صور التفسُّح الصوتي في اللغة؛ لما فيها من عدول عن الأصل، وسأبيّن ذلك لاحقًا. **يقول ابن جني** – مؤكدا هذا المعنى –: "أمَّا على الجملة فإنَّ الإمالة والتفخيم في حروف المعجم ضربٌ من الاتساع، وذلك أنَّ الإمالة والتفخيم ضربان من التصرف.[3]وثمة سؤال يطرح نفسه، لماذا تُعدُّ الإمالة بابًا من أبواب التفسُّح الصوتي في اللغة؟ ولماذا تميل اللغة إلى هذه الصورة الصوتية من التفسُّح؟ وللإجابة عن هذا

---

(١) قد أثبت محقق الكتاب في النص (المسموح) بميم زائدة، وهذا خطأ بيّنٌ كالشمس، والصواب ما أثبتُّه، والعجيب أنَّ المصادر التي أحال إليها المحقق في الهامش ذكرت ما أثبتُّه في النص، أي (المُسُوح) بدون الميم، ومفردها: المِسح، كما في المزهر ٢٠٩/١، وتهذيب اللغة ٣٠٦/١٢، واللسان ٥٩٦/٢، والصحاح ٤٠٥/١، فمثلا، يقول الجوهري في الصحاح: والمِسح: البلاس، والجمع أمساح ومُسُوح.ويقول السيوطي في المزهر: وأهل مكة يُسمُّون " المِسْحَ" الذي يُجعل فيها الطعام البرّ: البلاس، وهو بالفارسية " بلاس". وذكر الجواليقي في المُعرَّب: أبو عبيد عن أبي عبيدة قال: ومما دخل في كلام العرب من كلام فارس: المِسْح: "بَلاسٌ". وجمعه " بُلُسٌ" هكذا تقول العرب. وبياعه "البَلَّاسُ" قال الراجز لامرأته:

إن لا يكن شيخك ذا غِراسِ * فهو عظيم الكيس والبَلاس**

في اللَّزبات مُطعِمٌ وكاسي

أراد بشيخها : زوجها . انظر: المعرب للجواليقي ، ص ٢٩

(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٥

(٣) انظر: المحتسب ٣٦/٢

السؤال، لا بد أولًا من التعريج على بعض الأمور المتعلقة بهذه الظاهرة، كتعريفها، وعلاقتها بالمماثلة الصوتية بين الصوامت والحركات. ذكر **سيبويه** أنَّ **الخليل** وسمها بالإجناح، أي: الميل إلى شيء ما[١]، وهذا المعنى قريب من المعنى اللغوي للإمالة، فهي مأخوذة من الأصل اللغوي "ميل"، كما ذهب **ابن فارس**، حيث قال: "الميم والياء واللام كلمة صحيحة تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه". [٢]

ووصفها **سيبويه** بأنها عملية صوتية أشبه بالتماثل الصوتي، الذي غرضه تقريب صوت من صوت، بدافع التجانس، والتماثل، حيث قال: "فالألف تُمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور، وذلك قولك:عابد، وعالم، ومفاتيح، وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها؛ أرادوا أن يقربوها منها".[٣]**وجمع ابن يعيش**– في تعريفه للإمالة–بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في عبارات موجزة، دقيقة، قال: "اعلم أنَّ الإمالة مصدر أملته أميله إمالة، والميل: الانحراف عن القصد، يُقال منه مال الشيء، ومال الحاكم، إذا عدل عن الاستواء، وكذلك الإمالة في العربية: عدول الألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها. والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذي يدل أنَّ التفخيم هو الأصل أنه يجوز تفخيم كل ممال، ولا يجوز إمالة كل مفخم، وأيضًا فإنَّ التفخيم لا يحتاج إلى سبب، والإمالة تحتاج إلى سبب."[٤] **وعرَّفها ابن الجزري** بقوله: "أن تنحو بالفتحة نحو

(١) انظر: الكتاب ٢٧٨/٣، قال سيبويه: "فزعم الخليل أنَّ إجناح الألف أخف عليهم، يعني الإمالة....."

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ٢٩٠/٥

(٣) انظر: الكتاب ١١٧/٤، وجدير بالذكر أنني لست –هنا– بصدد الحديث عن أسباب حدوث الإمالة، وصورها المختلفة، فقد كفاني مؤنة ذلك الباحثون قديما وحديثا.انظر في تفصيل ذلك: الكتاب ١١٧/٤، وهمع الهوامع١٨٤/٦

(٤) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ١٨٨/٥

الكسرة، وبالألف نحو الياء."[١] ووسمها الدكتور **أحمد علم الدين الجندي** بقوله: "تقريب الألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة؛ ولهذا فهي من المظاهر الصوتية التي يدعو إليها تقريب الصوت من الصوت". [٢]

ومن خلال هذه التعريفات السابقة للإمالة، تتضح لنا الإجابة عن الشق الأول من السؤال المطروح آنفًا، وهو لماذا عُدَّت الإمالة بابًا من أبواب التفسُّح الصوتي في اللغة؟ والإجابة –هنا– تتعلق بكون الإمالة تمثل صورة من صور العدول عن الأصل، وهو التفخيم، كما ذهب إلى ذلك **ابن يعيش**، وغي، فالألف الأصل فيها التفخيم والاستواء، دون الإمالة، لكنها تُمال؛ عدولا عن الأصل؛ لأجل الكسرة أو الياء التي بعدها. وأمَّا فيما يتعلق بالإجابة عن الشق الثاني من السؤال، وهو لماذا تجنح اللغة إلى هذه الظاهرة؟ فذلك لتحقيق غرض التجانس، والتماثل، والتقارب بين الأصوات؛ بغية تسهيل النطق على اللسان العربي؛ ولذلك جنح كثير من اللغويين إلى أنَّ الإمالة–من حيث تفسيرها الصوتي– تعُدُّ نوعًا من أنواع التماثل الحركي، الذي يرمي إلى تقريب الأصوات، وسهولة النطق، حيث إنَّ كيفيتها تشير إلى غرض تحقيق نوع من التماثل بين الصوائت، وتناسبٍ بين الحركة الممالة، وبين الحركة التي كانت سببًا في الإمالة، وهذا التماثل يُعرف –في الدراسات الصوتية – بظاهرة المماثلة الصوتية.[٣] يقول **السيوطي**–مفسِّرًا الغرض من حدوث الإمالة –:

---

(١) انظر: النشر ٢/٣٠

(٢) انظر: اللهجات العربية في التراث ١/٢٧٥

(٣) وهذه المماثلة الصوتية عرَّفها الدكتور أحمد مختار عمر بأنها: " التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته – ولا نقول ملاصقته لأصوات أخرى، أو هي تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة؛ إما تماثلا كليًّا أو جزئيًّا " انظر: دراسة الصوت اللغوي، ص/ ٣٧٨، وهذا التماثل– أيضا– يكون تقدميًّا، أو تأخريًّا كما في ظاهرة الإمالة.ووسمها الدكتور عبد العزيز مطر بأنها: "تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض تأثرا يؤدي إلى التقارب في الصفة أو المخرج؛ تحقيقا للانسجام الصوتي، وتيسيرًا لعملية النطق، واقتصادًا في الجهد العضلي" انظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية، ص/٢٤٥

"المقصود بالإمالة: تناسب الصوت، وذلك أنَّ الألف والياء، وإن تقاربا في وصف، قد تباينا من حيث إنَّ الألف من حروف الحلق، والياء من حروف الفم، فقاربوا بينهما بأن يُنحى بها نحو الياء، حتى يُنحى بالفتحة نحو الكسرة؛ فيحصل بذلك التناسب." [١] وجدير بالذكر أنَّ **ابن يعيش** عزا ظاهرة الإمالة الصوتية إلى أهل نجد، وتميم، وقيس، وأكثر أهل اليمن، والفتح إلى لهجة أهل الحجاز.[٢]

الصورة الثانية: الإتباع الحركي:

قال الخزَّاز: "وإتباع الضمِّ الضمَّ يدلك على حقيقة قولهم في الأمر: (اُدْخُل). والأصل: دَخَل يَدْخُلُ، فكرهوا ثقلَ الكسر مع ضم الخاء (إدْخُل)، ولم يكن سكون الدال بحاجز بين الضمتين، فهذه حكمة، وقدرة على الاتساع في الإعراب". [٣]

ويقول أيضًا في موضع آخر: فتح بعضُهم "حَيْثَ"، وغيرهم يضمُّها، والقياس صحيح فيهما، فمن فتح فلموضع الياء، كما قالوا: أيْنَ، وكيف، وكان حقُّ النون والفاء أن يُكسرا؛ لأنَّ حق المبني السكون؛ لأنه غير معرب....فأيُّ لغة أفسح، وأيُّ معانٍ أشرف، وأيُّ إعراب أشرح مما خص الله به العرب."[٤] إذن هذان المثالان للإتباع الحركي استدل بهما الخزَّاز على حدوث نوع من التفسُّح الصوتي في اللغة، فما المقصود بهذه الظاهرة، المسمَّاة بالإتباع الحركي؟ ولماذا عُدَّت صورة من صور التفسُّح في اللغة؟ الإتباع الحركي من الظواهر الصوتية الشائعة في اللغة؛ حتى **أنَّ ابن إياز** عدَّها أصلًا يقاس عليه؛ لكثرة استعمالها، حيث قال: "اعلم أنَّ العرب قد أكثرت من

---

(١) انظر: همع الهوامع ١٨٣/٦

(٢) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ١٨٨/٥، ونسبة الإمالة للقبائل البدوية يتوافق مع طبيعة حياة البدوي، من حيث السرعة في الأداء.

(٣) انظر: التفسُّح في اللغة، ص٢٦٩-٢٧٠

(٤) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٨٠-٨١

الإتباع، حتى صار كأنه أصل يقاس عليه، وإذا كانت العرب قد أزالت حركة اللام مع قوتها للإتباع، وذلك ما حكاه الفرَّاء: "الحمدِ لِله"، بكسر الدال إتباعًا لكسرة اللام."[١]وقد أشار **ابن جني** –في خصائصه– إلى هذه الظاهرة تحت ما يُسمَّى تأثر الحركة بحركة أخرى متقدمة عليها أو متأخرة عنها، وأطلق على الحركات في صورتها الجديدة، الناجمة عن التأثر اسم"حركات الإتباع" [٢]، ووسمها بأنها: إتباع أحد الصوتين للآخر، بحيث يصيران جزءًا واحدًا، حيث قال معلقًا على قراءة "الحمدُ لُله"، و"الحمدِ لِله"[٣] بالإتباع: "هذا اللفظ كثر في كلامهم، وشاع استعماله، وهم لما كثر في استعمالهم أشدَّ تغييرًا... وهذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الصوت الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد، وإن كان جملة من مبتدأ وخبر، فصارت"الحمدُ لُله"، كعُنُق، وطُنُب، و"الحمدِ لِله"، كإبِل، وإطِل". [٤]

وهنا يبرز سؤال مهم مفاده، لماذا تلجأ اللغة –في تفسُّحها–إلى هذه الظاهرة الصوتية بين الحركات؟ والإجابة تتمثل في أنَّ اللغة العربية تميل إلى إحداث نوع من التآلف، والانسجام، والتخفيف بين حركاتها المتباعدة في أثناء النطق، وكذلك النفور من كل ما هو مستثقل على اللسان العربي، الذي شأنه أن يحدث صعوبة في النطق. يقول **سيبويه**– مفسِّرًا سبب مجيء الإتباع في الكلام–: ".... فكرهوا كسرة بعد ضمة، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما فعلوا ذلك في مُذُ اليومُ يا فتى، وهو في هذا أجدر؛ لأنه ليس في الكلام حرف أوله مكسور، والثاني مضموم، وفُعِل هذا به كما فُعِل بالمدغم إذا أردت

(١) انظر: المحصول في شرح الفصول ٢٧٨/١-٢٧٩

(٢) انظر: الخصائص ٣٣٥/٢-٣٣٧

(٣) وقراءة " الحمدُ لُله" بضم اللام نسبها ابن جني إلى إبراهيم بن أبي عبلة، ولأهل البادية، في حين نسب قراءة "الحمدِ لِله" بكسر الدال، لزيد بن علي، والحسن البصري. انظر: المحتسب ٣٧/١

(٤) انظر: المحتسب ٣٧/١

أن ترفع لسانك في موضع واحد، وكذلك أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد."[١]وجنح الدكتور **إبراهيم أنيس** إلى وَسْمِ هذه الظاهرة بـ"ظاهرة انسجام أصوات اللين"، بدلا من الإتباع؛ لما تحققه من انسجام وتآلف بين الحركات، حيث قال: "وهي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات"[٢]وإذا أمعنا النظر في المثالين اللذين ذكرهما الخزَّاز، وجدناهما يمثلان الإتباع الإتباع الحركي الصوتي، الذي تحدثنا عنه آنفًا، كما يلي:

- **(اُدْخُلْ)**: حيث أُتبعت ضمةُ همزة الوصل ضمةَ الخاء؛ ومما سهَّل هذا الإتباع وجود الدال ساكنة؛ لأنها –هنا– حاجز غير حصين، مع أنَّ الأصل (اِدْخُلْ) بكسر همزة الوصل –كما ذهب إلى ذلك البصريون – وهو الأصل عندهم، لكن حدث إتباع؛ لكراهة الانتقال من الكسر إلى الضم؛ لما فيه من الثقل.[٣] ووجه التفسُّح الصوتي – هنا– يتمثل في العدول عن الكسر إلى الضم؛ مراعاة للخفة، وبعدًا عن الثقل المتولد عن مجيء الضم بعد الكسر.

---

(١) انظر: الكتاب ١٤٦/٤

(٢) انظر: في اللهجات العربية، ص/٨٦

(٣) وهذه المسألة فيها مذهبان: المذهب الكوفي: يرى أنَّ حركة همزة الوصل تابعة – دائما–لعين الفعل، نحو: اِضْرِب، واُدْخُل، والمذهب البصري: يرى أنَّ الأصل في همزة الوصل الكسر، ولكنها قد تتحول إلى الضم ؛لئلا يُخرج من كسر إلى ضم.وهذا المذهب البصري هو ما تبنَّاه الخزَّاز في هذه المسألة.وبرَّر البصريون رأيهم بأنَّ الأصل الكسر في همزة الوصل ، بقولهم: وذلك لأن المقصود بزيادة الهمزة النطق بفاء الفعل ساكنة في حال الابتداء ؛ لأنه لو لم تزد الهمزة لتحركت فاء الفعل الساكنة في حال الابتداء، والابتداء بالساكن محال، ووجب أن تكون الكسرة ؛لأنها زيدت على حرف ساكن، وكان الكسر أولى بها من غيره.ورُجِّحت الكسرة لرجحوها على الضمة بقلة الثقل، وعلى الفتحة ؛ لئلا توهم بالاستفهام....." انظر: تمهيد القواعد ٣٧٧٩/٨–٣٧٨٠، والإنصاف في مسائل الخلاف ٦٠٦/٢–٦٠٧

- "**حَيْثَ" في وجه بنائها على الفتح:** حيث بُنيت على الفتح؛ إتباعًا لفتحة الحاء، وكون الياء متوسطة بينهما لم يؤثر في الإتباع؛ لأنهاساكنة؛ ومن ثم عُدَّت حاجزًا غير حصين ضعيف. كما في أيْنَ، وكيف، مع أنَّ الأصل "حَيْثِ" بالبناء على الكسر، على أصل التخلص من التقاء الساكنين؛ لأنَّ أصلها البناء على السكون: "حيْثْ"؛ إلا أنها بُنيت على الفتح؛ مراعاة للإتباع الصوتي، حيث يعمل اللسان في الحرفين عملا واحدا، إضافة إلى التخلص من مسألة الانتقال من الفتح إلى الكسر، وهذا فيه ثقل في النطق، وهذه صورة من صور التفسُّح الصوتي في اللغة، حيث عُدِل عن الكسر إلى الفتحة؛ مراعاة للإتباع الحركي، الذي يحدث نوعًا من الانسجام الصوتي بين الحركات، وكذلك سعيًا؛ لتحقيق الخفة في النطق. يقول **العكبري**–في وجه بناء"حيث"على الفتح–:"... ومن العرب من يبنيها على الفتح؛ طلبًا للخفة، ومنهم من يبنيها على الكسر، وهو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين".(١)

ومن حيث ميل القبائل العربية إلى هذه الظاهرة، فقد عزاها **الجندي** إلى القبائل البدوية بوجه عام، حيث قال: "القبائل البدوية مالت إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض؛ لضربٍ من التشاكل، ومراعاة الانسجام، وكأن العلة عندهم أنَّ اللسان يعمل في الحرفين عملا واحدا، فلهجة البدو متطورة، وفي تطورها تجنح إلى الانسجام، بينما نجد القبائل المتحضرة، ومن سار سيرها قد بالغوا مبالغة شديدة في عدم تقريب الحركات بعضها من بعض؛ لأن لهجتهم محافظة، وعوامل التطور عندهم ليس لها نفس القوة عند البدويين".(٢)

(١) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب ٨٠/٢

(٢) انظر: اللهجات العربية في التراث ٢٧٣/١

الصورة الثالثة: ظاهرة الإبدال الصوتي (المماثلة الجزئية):

ويسميها بعض اللغويين بـ"المعاقبة الصوتية"، ولامشاحة في الاصطلاح، فكلتاهما تدل على إبدال حرف مكان حرف، أو حركة مكان حركة في كلمة واحدة. ويكون ذلك -غالبًا- بسبب وجود علاقة بين المتبادلين. ومادة (أعقب) تدور في المعاجم اللغوية حول معنى "أبدل"، فيقولون: "أعقب هذا ذاك، أي: صار مكانه، والتعاقب: الورود مرة بعد مرة، وأخذت أسيري عُقبة، أي: بدلا.[١]والإبدال من سنن العرب في كلامهم، يقول ابن فارس: "من سنن العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض: مدحه، ومدهه، وفرس: رِفلٌ ورِفنٌ، وهو كثير مشهور، قد ألَّف فيه العلماء. فأمَّا ما جاء في كتاب الله-جلَّ ثناؤه- فقوله: "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ"[٢]، فاللام والراء يتعاقبان، كما تقول: فلق الصبح، وفرقه".[٣]

وعرَّفه **ابن يعيش** بقوله: "أن نقيم حرفا مقام حرف، إماضرورة، وإماصنعة واستحسانا"[٤] وقد ورد هذا المصطلح عند بعض القدماء والمحدثين بلفظ القلب، ويعنون به الإبدال، وكذلك يشترطون لحدوثه وجود علاقة تقاربية بين الصوتين المبدلين، سواء أكان ذلك التقارب في المخرج، أم الصفة، أم في كليهما. يقول **ابن جني**: "فأمَّا من قال في قول تأبط شرًّا:[٥]

كأنما حثْحَثوا حُصًّا قوادِمُــهُ * أو أُمَّ خِشفٍ بــذي شثٍّ وطُبَّاقِ**

---

(١) انظر: اللسان ٦١٦/١-٦١٧، والصحاح، مادة (عقب) ١٨٥/١، وجدير بالذكر أنه شاع في الدراسات الصوتية الحديثة استعمال لفظة الإبدال الصوتي مع الصوامت، والمعاقبة الصوتية مع الصوائت.

(٢) سورة الشعراء، آية ٦٣

(٣) انظر: الصاحبي في فقه اللغة ١٥٤/١

(٤) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣٤٧/٥

(٥) والبيت من بحر البسيط، انظر ديوان تأبط شرًّا، ص/١٣٢

إنه أراد:حثَّثوا، فأبدل من الثاء الوسطى حاءً، فمردود عندنا، وإنما ذهب إلى هذا البغداديون، وأبو بكر السراج معهم.وسألت أبا علي عن فساده، فقال:العلة في فساده أنَّ أصل القلب في الحروف؛ إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال، والطاء، والتاء، والذال...وغير ذلك مما تدانت مخارجه.فأمَّا الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها."[١] وكذا يقول الدكتور **رمضان عبد التواب**- واصفًا- ظاهرة الإبدال بالقلب، ومشترطا لحدوثها وجود تقارب بين الصوتين المبدلين:"نُحبُّ أن نشير هنا- إلى أنَّ الصوت لا يمكن أن ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جدًّا، فلا ينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلا إلى صوت آخر من أصوات الحلق، وكذلك العكس."[٢]

وجدير بالذكر أنَّ **أبا الطيب اللغوي** عزا أسباب حدوث الإبدال الصوتي إلى اللهجات واللغات المختلفة، حيث قال: "ليس المراد بالإبدال أنَّ العرب تتعمد تعويض حرف عن حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعانٍ متفقة؛ تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد...." [٣] وأرجع **ابن جني** سبب وقوع الإبدال في الحروف إلى فكرة الأصل والفرع، حيث قال: "فمتى أمكن أن يكون الحرفان – جميعًا- أصلين (كل واحد منهما قائم برأسه) لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دل دالٌّ، أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه، عُمِلَ بموجب الدلالة، وصِيْر إلى مقتضى الصنعة.ومن ذلك سكَّر طبرزل وطبرزن:هما متساويان في الاستعمال، فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منك بحمله على ضده..." [٤] وعُدَّ الإبدال الصوتي -بصوره المختلفة- بابًا من أبواب

(١) انظر: سر صناعة الإعراب ١/١٩٢-١٩٣
(٢) انظر: التطور اللغوي، مظاهره، وعلله، وقوانينه، ص/٣١
(٣) انظر: الإبدال، ص/٦٩
(٤) انظر: الخصائص ٢/٨٢

التفسُّح الصوتي في اللغة؛ لما فيه من الخروج على الأصل، فالأصل عدم الإبدال، ولكن لمَّا تقارب الصوتان، صفة، ومخرجًا، حدث إبدال بينهما، وهذا الإبدال الصوتي غرضه تسهيل النطق، والتخفيف.

ومن الصور التي ذكرها الخزَّاز للإبدال الصوتي، وتُعدُّ نماذج للتفسُّح الصوتي في اللغة ما يلي:

أ- الإبدال الصوتي بين الصوامت:

- **الإبدال الصوتي بين صوتي (الصاد والطاء):**

يقول الخزَّاز:"وأنَّ"حصب جهنم"[١]: الحطب بلسان الزنج." [٢]، والذي سوَّغ هذا الإبدال الصوتي بين الصاد والطاء وجود علاقة تقاربية بين الصوتين في المخرج والصفة، فكلاهما ينتمي إلى مخرج واحد، وهو المخرج اللثوي الأسناني، كما أنَّ الصاد صوت رخو مهموس مفخم، والطاء:صوت شديد مهموس مفخ، فالفرق بينهما –فقط– في شدة الطاء؛ وهذا ما سهَّل عملية الإبدال الصوتي بينهما.وجنح ابن دريد إلى أنَّ هناك تقاربًا في المعنى –أيضا– بين اللفظتين، وهو ما سوَّغ الإبدال، حيث قال: "والحَصَبُ: من قولهم: حصبتُ النار، أحصبُها حَصْبًا إذا ألقيت فيها حطبًا". [٣]

وقد قُرئ بالإبدال الصوتي بين الحرفين في القراءات الشاذة، حيث قرأ الإمام علي بن أبي طالب، والسيدة عائشة، وابن الزبير، وأُبيّ بن كعب، وعكرمة قوله تعالى: "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" [٤] بإبدال الصاد طاءً، هكذا "حطبُ جهنم"[٥] قال **أبو الفتح:** أمَّا الحضَبُ بالضاد مفتوحة، وكذلك بالصاد غير المعجمة (الحَصبُ)،

---

(١) سورة الأنبياء، جزء من الآية ٩٨

(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٣٨

(٣) انظر: جمهرة اللغة، ١/٢٧٩-٢٨٠

(٤) سورة الأنبياء، آية ٩٨

(٥) انظر: المحتسب ٢/٦٧، ومختصر في شواذ القرآن ، ص/ ٩٥

فكلاهما: الحطب، ففيه ثلاث لغات: حطب وحضب وحصب، وإنما يقال: حصب: إذا ألقي في التنور والموقد.فأمَّا ما لم يستعمل، فلا يقال يقال له:حصبُ.(١) قال **الفراء:** الحصبُ في لغة أهل اليمن الحطبُ، وعن **الأزهري:** الحصب:الحطب الذي يُلقى في تنور، أو في وقود ، فأمَّا ما دام غير مستعمل للسجور فلا يُسمَّى حصبًا.(٢)

- **الإبدال الصوتي بين صوتي (القاف والكاف):**

قال أبو الحسين الخزَّاز:"ألا ترى أنَّ العرب تقول للذي يُصلح القِسيّ "القمنجر"، وهو بالفارسية "الكمان كر"، قال أبو زغيبة الأسدي الراجز:(مِثلَ القِسيّ عاجها القمنجر). وإنما ذكر إبلا قد انحنت أصلابها، فشبهها بالقِسيّ.(٣) وثمة تبادل صوتي حدث في الكلمة المعربة عند انتقالها من الفارسية إلى العربية، حيث أُبدلت الكاف إلى قافٍ، والذي سوَّغ هذا الإبدال، التقارب المخرجي، والوصفي بين الصوتين، فصوت القاف ينتمي إلى المخرج اللهوي، وهو صوت شديد مهموس مفخم، بينما الكاف الفارسية تنتمي إلى المخرج الطبقي –وهو المخرج الذي يلي المخرج اللهوي– وهي صوت شديد مجهور مرقق.أمَّا الكاف العربية فهي– أيضًا– صوت طبقي شديد مهموس مرقق؛ وعليه فهذا التقارب بين الصوتين في المخرج والصفة

---

(١) انظر: المرجع السابق ٣٢٠/١

(٢) انظر: اللسان ٣٢٠/١

(٣) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٦، والمعَّرب للجواليقي ، ص/ ١٢٤–١٢٥ ، وشطر البيت من بحر الرجز، وصدره: وقد أقلَّتنا المطايا الضُّمَّر، وهو بلا نسبة في المزهر ٢٣١/١، والمخصص ٢٢٢/٤، والجمهرة ١١٣٧/٢، ونُسِب في اللسان إلى أبي الأخزرالحُمّانيّ، واسمه قتيبة، انظر اللسان: ١١٥/٥–١١٦، وقال ابن منظور– في شرح البيت– : شبَّه ظهور إبله بعد دُؤُوب السفر بالقِسي، في تقوُّسها وانحنائها، وعاجها بمعنى: عوَّجها.قال: وهوالقمنجر، وأصله بالفارسية: كمانكر.انظر : اللسان١١٦/٥،

سوَّغ عملية الإبدال الصوتي بينهما، فتحولت الكاف الفارسية إلى قاف عربية.(١) وذكر **السيوطي** أنَّ لفظ" قمنجر" مُعرَّب عن "كما نكر"(٢)، وجنح ابن **دريد** إلى أنَّ القمجرة: إصلاح القِسيّ، فارسيٌ معرّبٌ.(٣)ونقل **الأزهريُّ** أنَّ بعضهم يقول: القمنجر: القوَّاس، وإنما هو بالفارسية كمان قر.(٤)

وهذا الإبدال بين الصوتين واقع في كلام العرب، وأشعارهم، وليس المجال –هنا– مجالًا للحصر. وقد نسب **الدكتور الجندي** إلى قريش نطق الكاف، بينما غيرها من القبائل مالت إلى نطق القاف، ومن أدلة ذلك ما رواه الفراء: قريش تقول:كشطت، وقيس وتميم تقول: قشطت بالقاف....(٥)، وعلة تلك النسبة –كما ذكر الدكتور الجندي– ترجع إلى أنَّ قريشا بيئة حضرية، تجنح دأبًا إلى الأصوات المهموسة ؛ لذلك نطقت بالكاف.أمَّا البيئات البدوية من تميم ومن جاورها، فيميلون إلى الأصوات المجهورة الشديدة ؛ ولذلك آثروا القاف.(٦)

---

(١) وجدير بالذكر أنَّ الكلمتين حدث بينهما إبدال صوتي آخر في حروف أخرى، بيد أنني اكتفيت بذكر وقوع الإبدال بين صوتي الكاف والقاف، كمثال على وقوع الإبدال ؛ ولم أتطرق إلى وقوع الإبدال بين صوتي الكاف والجيم أيضا ؛ خشية الإطالة.

(٢) انظر: المزهر ٢٣١/١

(٣) انظر: جمهرة اللغة ١١٣٧/٢

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٢٨٢/٩

(٥) انظر: اللهجات العربية في التراث ٢٧٨/١

(٦) انظر: اللهجات العربية في التراث ٤٦٣/١، وفيما يخص تحول الكاف الفارسية إلى قاف عربية، فقد ذهب الدكتور الجندي إلى أنَّ تغليظ القاف في النطق ينتج عنه الكاف الفارسية، وهي أشبه الحروف بالجيم القاهرية، والدليل على ذلك، أنها عُرِّبت، –أي: الكاف الفارسية– في بعض الكلمات إلى جيم.انظر –في تفصيل هذه المسألة–: اللهجات العربية في التراث ٤٦٣/١

- **الإبدال الصوتي بين صوتي (السين والشين):**

يقول الخزَّاز: "ومما قالت العرب في الجاهلية في كلامها وأشعارها: الدَّشت والدَّست، تريد الصحراء الواسعة البسيطة الخالية." [١] إذن وقع إبدال بين صوتي السين والشين في كلمتي "الدَّست، والدَّشت". ومسوغ هذا الإبدال وجود علاقة تقاربية بين الصوتين في المخرج والصفة، فالسين: صوت لثوي أسناني، صفته: رخو مهموس مرقق، وفي الجانب الآخر نجد أنَّ الشين صوت غاريٌّ –وهو مخرج قريب من اللثوي الأسناني–، يوصف بأنه رخو مهموس مرقق، وهي صفات السين نفسها، وهذاالتقارب الشديد جدًّا بين الصوتين هو ما جعل عملية الإبدال سهلة الوقوع بين الصوتين. قال **أبو عبيد** –في الغريب المصنف–: العرب يُعرِّبون الشين سينا، يقولون: نيسابور، وهي نيشابور، وكذلك: الدَّشت يقولون : دست، فيبدلونها سينًا.[٢]، وهي من الكلمات التي عُرِّبت عن النبطية، كما ذهب إلى ذلك **ابن دُريد**، حيث صنَّفها ضمن الكلمات التي أخذت عن النبطية، قال: "وقالوا: الدَّشت، وهي الصحراء، قال الأعشى:

قد علمت حمير وفارس والـ ْ * أعراب بالدَّشت أيهم نزلا**[٣]

والإبدال بين صوتي السين والشين –بوجه عام– واقع في كلام العرب، وأشعارهم. **يقول الفرَّاء:** السَّدفُ والشَّدفُ: الظلمة.[٤] وقد أرجع **الدكتور الجندي** حدوث الإبدال الصوتي بين صوتي السين والشين إلى سبب آخر غير التقارب، ألا وهو أمراض الكلام، حيث قال: "وقد يرجع التبادل بين

---

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٧

(٢) انظر: المزهر ٢١٦/١

(٣) انظر: جمهرة اللغة ١٣٢٤/٣، والبيت من بحر المنسرح، نُسِب إلى الأعشى في التفسُّح للخزاز، ص١٤٨–١٤٩، واللسان ٣٢/٢، والصحاح ٢٤٩/١، وهو في الديوان بتقديم فارس على حمير، ولعله الصواب.انظر ديوان الأعشى، ص/٢٣٧

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٢٢٣/١١

السين والشين لا إلى العلاقة بينهما – كما سبق– بقدر ما يرجع إلى أمراض الكلام، ويظهر ذلك في قول سحيم، حيث كان يرتضخ لكنة أعجمية: "ما سعرت"، يريد "ما شعرت"[١].

- **الإبدال الصوتي بين صوتي (السين والتاء):**

يقول الخزَّاز: "وكذلك قالوا: الخِيم، والسُّوس، والتُّوس، والسَّخت، والزّور، والنحيزة. قال أبو محمد التوزي: الصبيعة، والسليقة ، والنحيتة، والدسيعة...، وكله يُراد به الطبيعة؛ اتساعا في الألفاظ ، وتفسُّحا في الأسماء."[٢] وبين "التُّوس"، والسُّوس"حدث إبدال صوتي بين السين والتاء ؛وقد سهّل وقوع هذا الإبدال وجود علاقة تقاربية بين الصوتين في المخرج ، والصفة، فالسين –سبق وأن أشرنا– أنها صوت لثوي أسناني، يوسم بأنه رخو مهموس مرقق، وكذلك التاء، تنتمي إلى مخرج السين أيضا، بيد أنها تختلف عن السين في كونها صوتا به شدة، فهي صوت شديد مهموس مرقق. إذن كلاهما ينتمي إلى مخرج واحد، وأيضا ثمة تقارب كبير بين صفاتهما؛ وهذا ما جعل العرب توقع الإبدال بينهما في الكلام. **يقول ابن يعيش:** "قد أبدلوا التاء من السين في" سِتٍّ"، وأصله: "سدس"؛ لأنه من التسديس، يدل على ذلك قولهم في تحقيره "سُديسة "، لكنَّهم قلبوا السين الأخيرة تاءً ؛ لتقرب من الدال التي قبلها، وهي مع ذلك مهموسة، كما أنَّ السين مهموسة، فصار التقدير: "سِدتٌ"، فلما اجتمعت الدال والتاء، وبينهما تقارب في المخرج، أبدلوا الدال تاء لتوافقهما في الهمس، ثم ادَّغموا التاء في التاء، فقالوا: "سِتٌّ"، وأما قول الشاعر، أنشده أحمد بن يحيى (من الرجز)

يا قـــاتلَ اللهُ بني السعلاةِ * عمروَ بن يربـوعٍ شرارَ الناتِ**

غـــيرَ أعِفَّاء ولا أكيـــاتِ

---

(١) انظر: اللهجات العربية في التراث ١/٤٥٦

(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٧-١٤٨

فإنه أراد: الناس، وأكياس، وإنما أبدل من السين تاء؛ لتوافقهما في الهمس، وأنهما من حروف الزيادة، وهي مجاورة لها في المخرج توسُّعًا في اللغة." (١)

وذهب ابن دُريد إلى أنَّ: السُّوس: معروف، يقال: فلان من سوس صدقٍ، ومن توس صدقٍ بالتاء، إذا كان من أصل صدقٍ.(٢)وقد عزا **الدكتور الجندي** نطق التاء إلى تميم، ومن جاورها، ونطق السين إلى القبائل المتحضرة، كقريش؛ مبررا ذلك بقوله: "كما يتضح –أيضا– أنَّ القبائل المتبدية، كطيء وتميم، ومن على شاكلتهما قد آثرتا نطق التاء– ذلك الصوت الشديد، ومما لا شك فيه أنَّ القبائل المتبدية تجنح إلى السهولة، والأيسر عندها أن تنتقل الأصوات من الرخاوة إلى الشدة؛ إذ الأسهل على اللسان أن يصطدم بالحنك، ويلتقي التقاء محكما ينحبس معه النفس، وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة... أمَّا القبائل المتحضرة فقد آثرت الصوت الرخو، فتنطق:بالسين، والصاد... ولا شك أنَّ الصوت الشديد يتسم وحياة البدوي، وما يُعرف عنه من جفاء وحسم.(٣)

- **الإبدال الصوتي بين صوتي (الهمزة والهاء):**

قال الخزَّاز: "وكذا جاءت الهمزة التي في لفظ الاستفهام؛ لأنها أخت (هل)، وقد تُبدل منها هاء، فيقولون: هيَّاك بمعنى إيَّاك، وهأنت قلت ذاك، وفيها غاية الإفهام، أنها في معنى المعاتبة ، والتنبيه، نحو قوله–ﷻ– للمسيح –عليه السلام–: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣٩٨/٥–٣٩٩، وهذا البيت نسبه ابن منظور إلى " عِلباء بن أرقم " بلفظ " يا قبَّح الله " انظر اللسان ١٠١/٢، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٨٤٢/٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٢٢١/٣

(٢) انظر: جمهرة اللغة، ٨٤٢/٢

(٣) انظر: اللهجات العربية في التراث ٤٥٤/١–٤٥٥

إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ" [١]، وهو العليم أنه لم يقله، ولكنه توبيخ لمن حكاه عنه [٢].

إذن العرب تُحدثُ في كلامها إبدالا صوتيًّا بين صوتي الهمزة والهاء؛ لما بينهما من تقارب في المخرج والصفة، فهما ينتميان إلى مخرج واحد، وهو المخرج الحنجري، والهمزة: صوت شديد مهموس مرقق، والهاء:صوت رخو مهموس مرقق، ومن ثم حدث الإبدال بينهما لهذا التقارب.[٣]وجدير بالذكر أنَّ ثمة قراءات قرآنية شاذة جاءت بالإبدال بين صوتي الهمزة والهاء، كما في قوله تعالى: "إيَّاك نعبد"[٤]، حيث قرأها أبو السَّوَّار الغنوي "هيَّاك نعبد"، وهي قراءة شاذة.[٥]

(١) سورة المائدة، آية ١١٦

(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢٣٥

(٣) وجدير بالذكر أنَّ الهمزة عدَّها القدماء صوتًا مجهورا، وعدوا مخرجها من أقصى الحلق، وتحتاج إلى كلفة وشدة في النطق.انظر: الكتاب ٤٣٣/٤، وشرح المفصل ٢٦٥/٥.أمَّا المحدثون فقد اختلفت آراؤهم حول مخرجها، ووصفها من حيث الجهر، والهمس، فعلى سبيل المثال، رأى الدكتور عبد الصبور شاهين أنَّ مخرجها هو الحنجرة، بينما رأي الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ مخرجها هو المزمار.انظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث / ص٢٤، والأصوات اللغوية/ص ٧٧، وفيما يتعلق بصفة الجهر والهمس، فقد انقسم المحدثون إلى فريقين: الفريق الأول يرى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس (بين بين)، ومن أنصار هذا الفريق، إبراهيم أنيس، ومحمود السعران، انظر: الأصوات اللغوية، ص ٧٧، وعلم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، ص/ ١٥٧، والفريق الثاني: يرى أنها صوت مهموس، ومن أنصار هذا الفريق، الدكتور تمام حسان، ورمضان عبد التواب، انظر: مناهج البحث في اللغة، ص/٩٧، ومدخل إلى علم اللغة، ص/٥٦

(٤) سورة الفاتحة، جزء من آية ٥

(٥) انظر: مختصر في شواذ القرآن، ص/ ٩، وروح المعاني للآلوسي ٨٦/١

وذهب ابن جني إلى أنَّ "إيَّاك"فيها لغات، منها "إيَّاك، وأيَّاك، وهيَّاك، وهيَاك، والهاء بدل الهمزة، كقولهم في أرقت:هرقت، وأردت: هردت، وأرحت الدابة: هرحت، وأنرت الثوب: هنرت. قال: (الطويل)

وَهِيَّـاك والأمر إن توسَّعتْ * مواردُه ضـاقت عليك مصـادِرُه.**(١)

وجنح الأشموني إلى أنَّ إبدال الهمزة هاء سماعي، لا يقاس عليه، كما في إيَّاك وهِيَّاك.(٢) وقد أشار **ابن يعيش** إلى أنَّ هدف هذا الإبدال بين الهمزة والهاء هو تحقيق التخفيف في النطق، حيث قال: "... فأمَّا إبدالها من الهمزة (يقصد الهاء)، فقد أبدلوها منها إبدالا صالحا على سبيل التخفيف، إذ الهمزة حرف شديد مستفل، والهاء حرف مهموس خفيف، ومخرجاهما متقاربان، إلا أنَّ الهمزة أدخل منها في الحلق." (٣)

- **الإبدال بين صوتي (الواو والميم):**

قال أبو الحسين الخزَّاز: "فالكلمة لا تكون أقلَّ من حرفين: حرف الابتداء، وحرف للوقوف، إلا أن يكون موصولا بأطراف الكلم، مثل: كاف "إياك"، و"هناك"، فإذا تمت الكلمة بحرفين انطلق بها اللسان، ما لم يكن الحرف الثاني واوا أوياء، نحو:(فمٌ، فمًا، فمٍ)، والأصل: فو، كقول أميّة: "**وما فـاهُوا بِهِ لهُمُ مُقـيمُ.**" فلو أعربوا (الواو) لقالوا: له فوٌ واسع، لصارت في اللفظ كأنها (فُن)، والنون للتنوين، وهو ساكن، وكانت النون ساكنة، واجتماع ساكنين يُبطل حياة النطق. فمن الحكمة أبدلوا "الواو"ميما؛ ليتمكن الإعراب. وإذا جاوزوا الحرفين،

---

(١) انظر: المحتسب ١/٣٩-٤٠، والبيت من بحر الطويل، وهو بلا نسبة في المحتسب ١/٤٠، وشرح المفصل ٥/٤٠١، ونُسِب إلى مُضَّرس بن ربعي في: تاج العروس ٢٠/٣٧٦، وإلى مضّرس بن ربعي أو طفيل الغنوي في: الممتع في التصريف ١/٢٦٤

(٢) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٤/٨٤

(٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٥/٤٠١

ردّوا (الواو) لإمكان ذلك لهم[١]إذن حدث إبدال صوتي بين الواو والميم، فقلبت الواوميمًا، ومسوغ هذا الإبدال-كما ذكرنا آنفا-وجود تقارب بين الصوتين المبدلين في المخرج والصفة.وهذا متحقق في صوتي الواو والميم، فكلاهما ينتمي إلى مخرج واحد، وهو الشفوي، وكذلك بينهما تقارب في الوصف، فالميم صوت مائع متوسط مجهور مرقق، والواو صوت رخو مجهورمرقق . يقول **ابن جني**:".. فأبدلوا من الواو ميمًا؛ لقرب الميم من الواو ؛لأنهما شفهيتان، وفي الميم هوى في الضم يضارع امتداد الواو"[٢]

وهو ما ذهب إليه **ابن يعيش**، حيث قال: "قد أُبدلت الميم من أربعة أحرف:الواو، واللام ، والنون، والياء.أمَّا إبدالها من الواو، ففي "فم" وحده، والأصل فيه: "فوه"عينه واو، ولامه هاء، يدل على ذلك قولهم في التصغير: فويه، وفي التكبير: أفواه."[٣]

ويقول الأشموني: "أُبدلت الميم-أيضا-من الواو في "فم" إذا أصله "فوه"بدليل: أفواه، فحذفوا الهاء تخفيفا، ثم أبدلوا الميم من الواو، فإذا أضيف رجع به إلى الأصل: فقيل: فوك، وربما بقي الإبدال، نحو:لخلوف فم الصائم.[٤]

- **الإبدال بين صوتي (الميم والباء):**

يقول الخزَّاز: "وأصل الفصاحة أن تُحمل الأشياء على أكثرها مما اجتمعت العرب على استعمال؛ ولذلك قيل: البلاغة كانت في عليّ، وابن عباس، وهذا العَشَمَة، ويقال:العشبة، يعنون أبا الأسود، وله أسٌّ في الإعراب

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢٤-٢٥، وهذا العجز لأمية بن أبي الصلت من بحر الوافر، وصدره: وفيها لحمُ ساهرةٍ وبَحْر.انظر: ديوان أمية ابن أبي الصلت، ص/١٢١، وجمهرة أشعار العرب ٢٤/١، والجامع٢٥/١

(٢) انظر: سر صناعة الإعراب ٨٩/٢-٩٠

(٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣٧٨/٥

(٤) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٢١/٤

يسمو إلى طرقات الصواب."[١] وإذا أمعنا النظر في كلام الخزَّاز، نجد أنه أقرّ بوقوع الإبدال الصوتي بين صوتي الميم والباء في كلمتي "العَشَمَة والعَشَبَة". وثمة علاقة تقاربية في المخرج والصفة سهَّلت وقوع هذا الإبدال، فكلاهما ينتمي إلى المخرج الشفوي، وكذلك هناك تقارب في صفتيهما، فالميم صوت متوسط مجهور مرقق، والباء صوت شديد مجهور مرقق؛ ولذلك سَهُلت عملية الإبدال. يقول **الزبيدي**: "والعَشَبة محركة:كالعَشَمَة بالميم:النبات الكبيرة.يقال:شيخ عَشَبَة، وعَشَمَة بالميم والباء.[٢] ويقول –أيضًا– والعَشَبَة: الشيخ المنحني كِبَرًا. وفي لسان العرب: ورجل عَشَبَة: قد انحنى، وضَمَرَ، وكَبِر. وعجوز عشَبة ، كذلك عن اللحياني[٣]. وتفسير حدوث هذا الإبدال بين الصوتين–كما ذكر **الدكتور الجندي**–يكمن في: "أن تتجاور الميم–وهي التي يسير الهواء للنطق بها متخذا مجراه من الأنف–مع حرف كالنون، وهي مثل الميم في أنَّ مجراهاالأنف، فيحاول الإنسان أن يخالف بين اتجاه هذين الحرفين، فيبدل الميم إلى الباء.[٤]

وأمَّا عن سبب انتشار هذه الظاهرة–بكثرة في الجزيرة العربية–فإنه يرجع أخطاء الأطفال في النطق، كما ذهب إلى ذلك الدكتور **إبراهيم أنيس**، وأيَّده في ذلك الدكتور علم الدين الجندي. يقول الدكتور علم الدين الجندي: ولعموم هذه الظاهرة في الجزيرة رأى الدكتور إبراهيم أنيس أنها يمكن أن تُعزى إلى أية لهجة من اللهجات المنعزلة، حيث لا يجد الطفل وقتًاكافيًا لإصلاح أخطائه؛ لانشغال أبيه وأمه بكسب العيش، فتشبُّ هذه الأخطاء معه، حتى تصبح ظاهرة معترفًا بها من ظواهراللغة. وأرى أنَّ ظواهر كثيرة من ظواهر الإبدال

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٧٩
(٢) انظر: تاج العروس، مادة " عشب" ٣/٣٧٣، والصحاح ٥/١٩٨٥
(٣) انظر: تاج العروس، مادة " عشب" ٣/٣٧٣، واللسان ١/٦٠٢
(٤) انظر: اللهجات العربية في التراث ١/٤١١

تحمل على هذا، فمنه ما جاء عن بني عامر، فيقولون: بحباح، ومحماح، أي: لم يبق شيء.(١)

ب-المعاقبة الصوتية بين (الصوائت المتسعة (الفتحة) والصوائت الضيقة (الضمة)؛(٢)

يقول الخزَّاز: "وقال تعالى في كتابه الكريم: "وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ"(٣)، ليس على معنى (حتى): وقت ذلك، ولكن على التبعيد، وزعم الأصمعي أنَّ السَّمَّ والسُّمَّ لغتان في كل ضيِّق المسلك. فأمَّا في القرآن فبالفتح. والعرب تقول في مثل معناه: حتى يبيضَّ القارُ، وحتى يشيب الغراب؛ تبعدًا للأمر، وهم يعلمون أنَّ ذلك لا يكون" (٤) إذن حدثت معاقبة صوتية بين الفتح والضم في لفظة: السَّم، بفتح السين ، وضمها. وثمة قراءة قرآنية شاذة تدعم هذا التعاقب بين الفتح والضم في هذا الموضع، وهي قراءة

---

(١) انظر: اللهجات العربية في التراث ٤١٣/١، وأنا –مع تقديري لرأي الأستاذين الفاضلين –لا أتفق معهما فيما ذهبا إليه، فعملية الإبدال –كما رأينا –تتم وفق قواعد صوتية منضبطة، مبنية على أسس من التقارب بين الصوتين، ولا يمكن أن تكون ناتجة عن عشوائية أو خطأ في النطق.ثانيا: هناك من الشواهد العربية، و القراءات الشاذة ما يدعم كون هذه الظاهرة أصيلة، وأنها ظاهرة صوتية، مالت إليها اللغة، بغرض التخفيف، والتسهيل.إضافة إلى أنَّ وقوعها في نطق الأطفال ، يؤكد ما ذهبنا إليه، من كونها بابًا من أبواب التسهيل، والتخفيف في النطق.

(٢) يُقصد بالصوائت الضيقة عند علماء الأصوات (الكسرة والضمة)، وسمِّيت بالضيقة؛ لأنها تنطق عندما ترتفع مقدمة اللسان –كما هو الحال في الكسرة–نحو الحنك الصلب، فتضيق المسافة بينهما، أو ترتفع مؤخرة اللسان –كما هو الحال مع الضمة – نحو الحنك الرخو، فتضيق المسافة بينهما.ويقصد بالمتسعة (الفتحة)، حيث يكون اللسان–حال نطقها– منخفضا في قاع الفم، ومن ثم يمر الهواء بسهولة دون تضييق.انظر: مدخل لعلم اللغة، ص/٩١–٩٧، والصوتيات، لبرتيل مالمبرج، ص/٧٥–٧٦

(٣) سورة الأعراف ، جزء من الآية /٤٠

(٤) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢٤١ –٢٤٢

ابن سيرين، حيث قرأ قوله تعالى: "وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ "هكذا "في سُمِّ الخياط" بضم السين، بينما رواية حفص بفتحها.(١) ويقول **الراغب الأصفهاني**: "السَّمُّ والسُّمُّ:كل ثقب ضيق كخرق الإبرة، وثقب الأنف والأُذن، وجمعه سموم." (٢)

وإذا أردنا أن ننسب كل نطق من النطقين إلى ذويه، فنجد أنَّ القبائل الحضرية –بوجه عام–كالحجاز، وما جاورها مالت إلى الخفة؛ ولذلك آثرت الفتحة على الضمة، بينما مالت القبائل البدوية، كقيس وتميم إلى الخشونة والثقل، ولذلك آثرت الضم.(٣)

الصورة الرابعة: مد المقصور وقصر الممدود:(٤)

قال الخزَّاز: "أو يختلفون في الشيء على وزنين، يبنيه هذا على بناء، ويبنيه الآخر على غيره، نحو (البكاء) يمُدُّه بعضهم، بناه على (فُعال)،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/٧

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ٤٢٤/١، ومختار الصحاح ١٥٤/١

(٣) انظر: اللهجات العربية في التراث ٢٦٠/١، وجدير بالذكر: أنَّ الأزهري –في تهذيبه– عزا الضم في السين إلى أهل العالية، والفتح إلى تميم، انظر: تهذيب اللغة ٢٢٣/١٢

(٤) المقصور والممدود يصنفان– في جلِّ الدراسات اللغوية ، القديمة والحديثة ، كمبحث من مباحث الدراسة الصرفية ، بيد أنَّ الدراسة–هنا–وظَّفتهما كصورة من صور التفسُّح الصوتي في اللغة ؛والسبب في ذلك يرجع إلى أنَّ بعض الدراسات الصوتية الحديثة ، فسَّرت القصر والمد– تفسيرًا صوتيًّا– في ظل ما يعرف بظاهرة نبر المقطع، فالممدود ينتج عندما يقع النبر على المقطع المتأخر من الكلمة، والمقصور يكون عندما يقع النبر على المقطع المتقدم منها، كما في كلمة: هناء، إذا وقع النبر على المقطع الأول منها، فإن المقطع الثاني يناله القصر، وأمَّا إذا وقع النبر على المقطع الثاني، فإنه يظل طويلا، ويقفل بالهمزة، أي: يمدُّ.انظر: في تفصيل ذلك: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص/٣٦ ، والإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سر صناعة الإعراب، ص/٥، وظاهرتا مد المقصور وقصر الممدود، وتفسيرهما الصوتي في ضوء الدرس اللغوي الحديث، ص١٩–٢٥

وبعضهم قصره، بناه على (فُعَل)، كما قال بعضهم (وَهَبَ)، و(وَهْبَ) ، فأهل هذه اللغة يفهم بعضهم عن بعض، واللغة الأخرى كذلك. فأيُّ لغة أفسح، وأيُّ معانٍ أشرف، وأيُّ إعراب أشرح مما خصَّ الله به العرب.[١]ويقول -أيضًا- في موضع آخر: "وزعم معمرأنه سمع في لغةربيعة، وقيس بالجزيرة، من يقول:ا للوابي، وإنما يريد: اللوبياء، غير أنهم إذا سألتهم عن واحدها، فقلت: لوبياء، لم يعرفوه، ولم يجترئوا عليه، فإذا قلت: اللوابي عرفوه.كما تعرف سفلى تميم: الأبازير، وهم يريدون (الأبزار)، فإذا سألتهم عن واحد الأبازير، لم يعرفوه، ولم يجترئوا عليه. وهم مع ذلك يقولون: أكثرتَ أبازير قِدرك. "[٢] وعلة كون مد المقصور يمثل صورة من صور التفسُّح الصوتي، ترجع إلى أنَّ هذه الصورة تمثل خروجًا عن الأصل، فالاسم المقصور أصل للممدود، ومن ثم يُعدُّ مدُّ المقصور خروجا عن هذا الأصل، وفي هذا تفسُّح ظاهر، يقول **ابن يعيش:** "إنما قُدِّم الكلام على المقصور من حيث كونه أصلا، والممدود فرع، ولذلك يجوز قصر الممدود في الشعر، ولا يجوز مد المقصور عندنا؛ لأن في قصر الممدود حذف زائد، وردًّا إلى أصله، وليس في مدِّ المقصور ردٌّ إلى أصل." [٣]

وجنح الرضي إلى أنَّ القصر والمد بابٌ من أبواب التفسُّح، والتوسُّع في اللغة في بعض الحالات، وليس على الإطلاق، حيث قال -مُعقِّبًا على كلام ابن الحاجب بجعل القصر والمد بابًا من أبواب التفسُّح على الإطلاق-: "وفي جعله للمقصور والممدود، وذي الزيادة من باب التوسُّع مطلقا نظر؛ لأنَّ القصر والمد صِير إليهما في بعض المواضع بإعلال اقتضاه الاستثقال..."[٤]

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٨١
(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٦
(٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣٧/٤
(٤) انظر: شرح شافية ابن الحاجب ٦٦/١

ويمكن-أيضًا-القول بأنَّ قصر الممدود يُعدُّ صورة من صور التفسُّح الصوتي في اللغة؛ وذلك إذا اعتبرنا الاسم الممدود أصلا بذاته، وليس فرعًا عن الاسم المقصور، ومن ثَمَّ يصير قصر الممدود توسُّعًا وتفسُّحا في اللغة.كما ذهب إلى ذلك بعض اللغويين، **كابن دريد**، الذي عدَّ كلاًّ منهما أصلابذاته، ولغة صحيحة.(١) بل ذهب **أبو علي الفارسي** إلى أبعد من ذلك، حيث عدَّ المدَّ هو القياس-كما في لفظة البكاء-، حيث قال: "والمدُّ أقيس؛ لأنه على باب الأصوات، فالفُعال في الصوت أكثر من الفِعْل في الأمراض والأحزان." (٢)

وتُجمع معظم الروايات على أنَّ الممدود من لهجات أهل الحجاز، بينما القصر سمة من سمات تميم، وقيس وربيعة، وأسد.(٣) وعلَّل الدكتور **الراجحي** ذلك الإسناد بقوله: "وذلك يناسب كلاًّ من البيئتين، إذ إنَّ الفرق بين المقصور والممدود إنما هو في كمية الصائت الطويل، التي تقع في آخر الاسم؛ فإذا كانت القبائل الحجازية المتحضرة تذهب إلى التأني، وتحقيق الأصوات فتستوفي كمية هذا الصائت، حتى تصل إلى الهمزة، فإنَّ القبائل البادية من تميم، وقيس، وربيعة، وأسد تميل إلى السرعة في النطق؛ مما يؤدي إلى كثير من الحذف.(٤) وفيما يتعلق بالألفاظ التي ذكرها الخزَّاز، كأمثلة على التفسُّح في قصر الممدود، ومد المقصور، **نجدها كالتالي:**

-(البكاء- البكا):

قال الجوهري:البكا: يُمدُّ ويُقصر، فإذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها.(٥)**ويقول ابن دريد:**"وبكى

---

(١) انظر: جمهرة اللغة ١٠٢٧/٢

(٢) انظر: المخصص ٩٠/٤

(٣) انظر: همع الهوامع ٢٦٠/١، وشرح التصريح على التوضيح ٥٨٤/٢

(٤) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص/١٦٨

(٥) انظر: الصحاح ٢٢٨٤/٦

يبكي بكاء، والبكاء: يُمدّ ويقصر، فمن مدَّه أخرجه مخرج الرُّغاء والضُّغاء، ومن قصره أخرجه مخرج الآفة والضَّنى وما أشبهه، ومقال قوم من أهل اللغة:بل هما لغتان صحيحتان، وأنشدوا بيت حسَّان (الوافر):

بكـــت عيني وحُقَّ بكاها ***وما يُغني البكـاءُ ولا العـويلُ (١)

-(اللوبياء- اللوبيا):

قال ابن الأعرابي:اللُّوباء مذكر، يُمدُّ، ويُقصر، يقال:هو اللوبياء واللوبيا، واللوبياج.(٢)وقال **ابـن سـيده:** "ومنها اللوبياء، واللوباء، ويُقال له الثَّامر، والدَّجر، والدِّجر.ابن دريد، وهو في الأصل يمانية، صاحب العين، وقيل:اللوباء ممدود نبتٌ:اللوبياء.(٣)

الصورة الخامسة: الحذف:

صورة من صور التفسُّح الصوتي في اللغة؛ لأنَّه خروج عن أصل الكلام من الذكر، وعدم الحذف للصائت أو الصامت، وتلجأ إليه اللغة؛ لأجل الاختصار في الكلام. **يقول الخزَّاز**:والعرب تُنقص الحرف من الاسم، وتُزيل الحرف، وتميل الحرف اتساعا؛ ليُعرف المعنى بالرسم الذي تريده، والعجم لا يتسعون كما تتسع العرب."(٤)والحذف-بوجه عام-من سنن العرب في كلامها، كما ذكر **ابن فارس**، حيث قال: "ومن سنن العرب الحذف والاختصار." (٥)، والذي يعنينا -هنا-الحذف الصوتي، الذي يتمثل في حذف صائت عن طريق التسكين، أو عن طريق تقصير الصائت الطويل، وقد يكون الحذف حذفًا لصامت ؛ نتيجة توالي الأمثال، أو حذفًا لصامت دون توالي

(١) انظر: جمهرة اللغة١٠٢٧/٢، والبيت الشعري من بحر الوافر لحسَّان، انظر: ديوان حسان بن ثابت ٣٤١/١

(٢) انظر: تهذيب اللغة ٢٧٦/١٥، واللوبيا مفرد " اللوابي"، التي ذكرها الخزَّاز في كلامه.

(٣) انظر: المخصص ١٨٧/٣

(٤) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٤٥

(٥) انظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص/١٤٥

الأمثال، وهو باب تفسُّح في اللغة، يرمي إلى تحقيق غرض الاختصار، والتخفيف. وقد أرجع حدوثه الدكتور **أحمد طه حسانين** إلى علة التخفف من ثقل الصامت أو الحركة، حيث قال: "إنَّ الحذف سببه علة قامت في نفوس العرب وأذهانهم ممن جُبلوا على الإسراع في النطق والأداء اللغوي؛ليحققوا من ذلك هدفًا معينا، هو في أغلب الأحيان التخفف من عبء تلك الحركة أوالصامت، فيلجئون إلى طرحها من كلامهم دون قصد منهم إلى ذلك ؛لأنه شيء اعتادوه، وجرت عليه طبائعهم، فصار كأنه فطرتهم، وسليقة عندهم"(١)

أمَّا عن القبائل العربية التي مالت إلى الحذف، فقد جنح الدكتور **عبده الراجي**-رحمه الله -إلى أنَّ الحذف-بوجه عام-مظهر من مظاهر البيئة البدوية، والتي كانت تميل إلى السهولة في النطق.(٢) وقد استطاعت العربية-بمرونتها-أن تطوِّع هذا الحذف؛ ليتلاءم مع أمثلة كلامها، دون حدوث خلل في المعنى. يقول **ابن جني**: "وذلك أنَّ العرب إذا حذفت من الكلمة حرفًا؛إما ضرورة، أو إيثارا، فإنها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويرا، تقبله أمثلة كلامها، ولا تعافه، وتمجُّه لخروجه عنها، سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلا أم زائدا".(٣)

وقد ذكر الخرَّاز في كتابه- التفسُّح في اللغة- صورًا من هذا الحذف الصوتي، منها:

- **حذف الحرف والاجتزاء بحركته (تقصير الحركة الطويلة):**

يقول الخرَّاز: "فإنَّ هذه الواو من نوع الضم والرفع، وكذا الياء من نوع الكسر والخفض، ولا يقعان إلا وما قبلهما منهما، كما لا تقع الألف إلا وما قبلهما مفتوح أبدًا، فكلٌّ واحد من هذه الحركات قد ينوب عما هو من جنسه

(١) انظر: قراءة يحيى بن وثَّاب في ضوء علم التشكيل الصوتي، ص/٩١
(٢) انظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص/١٥٤
(٣) انظر: الخصائص ٣/١١١-١١٢

ونوعه، فينوب الفتح عن نوعه الذي هو الألف، والضم عن نوعه الذي هو الواو، والكسر عن نوعه الذي هو الياء.ولا حرف من سائر حروف المعجم سوى ذلك ينوب عن غيره؛ فلذلك استجازوا حذف الألف، والواو، والياء في المواضع التي حذفوا ذلك فيها؛ إذ كانت الحركات الباقية في الحرف الذي حُذف منه دالة على المحذوف منه، كما قال الشاعر:

إذا ما شاءُ ضرُّوا مـــن أرادوا * ولا يسطيعهم أحـدٌ ضِـــرارا**

وهو يريد: شاءوا، فاكتفى بضم الهمزة من شاء."[١]

وعدَّ الخـزَّازهذا النوع من الحذف اتساعًا في الخط، وإيجازا في اللفظ، حيث قال: "وحُذفت الياء في مواضع لا تُحذف في مثلها، ولكنَّه اتساع في الخط، وإيجاز في اللفظ، كقوله: "وسوف يؤتِ الله"[٢]، والأصل :يؤتي الله....."[٣]

وفي هذا الصدد يقول **ابن جني:** "اعلم أنَّ الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنَّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة "[٤]

والاجتزاء يعنون به الاكتفاء، أي:حذف الحرف والاكتفاء بالحركة التي من جنسه، فيُكتفى بالكسرة عن الياء، والضمة عن الواو، والفتحة عن الألف. وإذا أمعنا النظر فيما ذكره الخزَّاز من أمثلة، وجدنا كلمة (شاءُ)، اكْتُفي بالضمة عن الواو، والأصل:شاءوا، وكذلك قوله تعالى:"يؤتِ"، حيث حذفت

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٥٨، والبيت الشعري من بحر الوافر، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفراء، بلفظ (ولا يألوهم أحدٌ ضرارا) ٩١/١، وخزانة الأدب ٢٢٨/٥

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية ١٤٦

(٣) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٦٢

(٤) انظر: سر صناعة الإعراب ٣٣/١

الياء بلا مسوغ، وأُكتفي بالكسرة؛لتدل على هذه الياء المحذوفة.وجدير بالذكر أنَّ ابن الأنباري خصَّ هذه الظاهرة الصوتية بالضرورة الشعرية، ولم يجزها في سعة الكلام، حيث قال: "... قوله :"تفدِ نفسك"لم تحذف الياء للجزم بلام مقدرة، وإنما حُذفت للضرورة؛ اجتزاء بالكسرة عن الياء، وهو في أشعارهم أكثر من أن يحصى." (١)

وقد نسبها **الفراء** إلى هوازن؛وعليا قيس، حيث قال: "وقد تُسقط العرب الواو، وهي واو جماع، اكتفي بالضمة قبلها، فقالوا في:ضربوا، قد ضربُ، وفي قالوا:قد قالُ.وذلك في هوازن، وعليا قيس.(٢)

- **حذف الحركة عن طريق التسكين تخفيفًا:**

قال أبو الحسين الخزَّاز:"أو ألقى السمع وهو شهيد"(٣)، أي: يشهد بقلبه ما تعي أذناه، فلن يكذباه، ولم يكن كما قال الشاعر:

هما حادياك اليوم ساقا مطيَّة * ألا ربما كُذْبَ السميعُ عن السمعِ**

يريد:أذناك ساقتا إليك ظنًّا من القول لم يكن حقًّا، وربما " كُذْبَ"، فأسكن الذال؛ لأن العرب تسكِّن الضمَّ والكسرتخفيفًا.(٤)وهذه الظاهرة أفرد لها **سيبويه** بابًا في كتابه، وسمه بـ"هذا باب ما يُسكَّن استخفافًا وهو في الأصل متحرك"، قال: "وذلك قولهم في قولهم في: فَخِذْ: فَخْذ، وفي عَضُد: عَضْد...، وهي لغة بكر ابن وائل، وأناس كثير من بني تميم... وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا

---

(١) انظر: أسرار العربية ٢٢٩/١، وهذا القول لابن الأنباري– من وجهة نظري– قد جانبه الصواب؛ لأن هذه الظاهرة وردت عن العرب في سعة كلامهم، بل وفي القرآن الكريم، كما ذكر ذلك الخزَّاز وغيره، وهي معزوة لقبيلتي هوازن، وعليا قيس.فلا سبيل لتخصيصها بالضرورة.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٩١/١، وخزانة الأدب ٢٢٧/٥

(٣) سورة (ق) ، جزء من الآية ٣٧

(٤) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٧٤، والبيت المذكور من بحر الطويل، ولم أعثر له– فيما تحت يدي من مراجع–على قائل أو مصدر.

أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخفُّ عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل، وكرهوا في "عُصِر"الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء... وأمَّا ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يُسكِّنون منه؛ لأنَّ الفتح أخفّ عليهم من الضم والكسر."[١] وقد ذهب الدكتور **إبراهيم أنيس** إلى أنَّ طلب الخفة ليس هو السبب الوحيد الداعي للتسكين، بل إنَّ ذلك مرتبط بكراهة اللغة توالي المقاطع القصيرة، حيث قال: "وتوالي المقاطع من النوع الأول، أو من النوع الثاني، أو من النوع الثالث جائز مستساغ في الكلام العربي، وإن كانت اللغة العربية في تطورها تميل إلى التخلص من توالي النوع الأول." [٢]

الصورة السادسة: القلب المكاني:

القلب المكاني:من سنن العرب في كلامها، كما جنح إلى ذلك **ابن فارس**، حيث قال:"ومن سنن العرب القلب، وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة، فأمَّا الكلمة فقولهم: (جَذَبَ وجَبَذَ)، و(بَكَل ولَبَك)، وهو كثير، وقد صنفه علماء اللغة" [٣]

وعرَّفه الرضي بقوله: "يعنى بالقلب: تقديم بعض حروف الكلمة على بعض، وأكثر ما يتفق القلب في المعتل والمهموز، وقد جاءفي غيرهما قليلا.[٤] ووسمه الدكتور **رمضان عبد التواب** بقوله: "تقديم بعض أصوات

(١) انظر: الكتاب ١١٣/٤-١١٥، وشرح شافية ابن الحاجب ٤٣/١، وجدير بالذكر أنَّ ابن إياز برَّر عدم تسكين ما توالت فيه فتحتان بقوله: "...مع أنَّ الفتح أخو السكون، ولهذا لا يُسكَّن (فَعَل) بفتح العين، فلا يقال في " جَمَل" جَمْل...." انظر: المحصول في شرح الفصول ٩٠/١-٩١

(٢) انظر: الأصوات اللغوية، ص/٩٣

(٣) انظر: الصاحبي في فقه اللغة ١٥٣/١، وعُدَّ القلب بابًا من أبواب التفسُّح، لأنه يمثل خروجا عن الأصل، إذ إنَّ الأصل عدم القلب بين الحروف، إضافة إلى أنه لا يقع إلا بين حروف بعينها في الكلام.

(٤) انظر: شرح شافية ابن الحاجب ٢١/١

الكلمة على بعض؛ لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي، فهو ظاهرة يمكن تعليلها بنظرية السهولة والتيسير." (١) وقد حمله **أبو حيان** على الضرورة، وأنه لا يجوز في كلام فصيح.(٢)

وقسَّم **ابن عصفور** القلب أقسامًا متنوعة، منها: ما هو خاص بالضرورة، كما في كلمة شواعٍ، وشوائع، وقسم آخر خاص بالقلب توسُّعًا من غير ضرورة، ومنه القلب في شاكٍ، وهارٍ...(٣) **وقد ذكر الخزَّاز** عدة نماذج للقلب المكاني، كأمثلة على التفسُّح الصوتي في اللغة، منها:

- **القلب المكاني في (هارٍ - شاكٍ... وما على شاكلتهما):**

يقول الخزَّاز: "فمن رأى في القرآن قوله: "أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ"(٤)وهذا مثل مضروب–فلم يعرف قوله:هارٍ، وليس بعربي الطبع، فيعلم علة "هارٍ": أنه مؤخر الهمزة من هائر لاتساع ألسنة العرب، أُخِّرت هذه الهمزة إذ لم تكن أصلية، فجعلتها بعد الراء، فرجعت إلى أصلها، وجعلوا التنوين للدلالة عليها مكسورا... ومثله:

فَتعرَّفوني إنني أنا ذاكمُ ***شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعْلَمُ(٥)

---

(١) انظر: التطور اللغوي، مظاهره، وعلله، وقوانينه، ص/ ٨٨–٨٩

(٢) انظر: المبدع في التصريف، ص/٢٣٩

(٣) انظر: الممتع في التصريف ٣٩١/١

(٤) سورة التوبة، جزء من آية ١٠٩

(٥) البيت من بحر الكامل، وهو منسوب إلى طريف بن تميم العنبري في الكتاب ٤٦٦/٣، وبلا نسبة في المقتضب١١٦/١، وشرح شافية ابن الحاجب ١٢٨/٣، والشاهد فيه (شاكٍ) أصلها شائك على وزن فاعل، ثم حدث قلب مكاني بين اللام والعين، و ردت الهمزة المتأخرة إلى أصلها الياء، فصارت (شاكي) ، ثم حذفت الياء وعوض عنها بحركة من جنس ماقبلها–كما يُفعل بياء الاسم المنقوص–، فصارت شاكٍ، على وزن فالٍ.

أراد:شائك.[١] وهارٍ:أصلها هائر، ثم رُدَّت الهمزة إلى أصلها (الواو أو الياء)، فصارت هاور أو هاير على وزن فاعل، ثم حدث قلب مكاني فيها، فتقدمت لامه على عينه، فصارت فالع، أي:هارو أو هاري، ثم عوملت معاملة الاسم المنقوص، فحذفت العين، وعوِّض عنها بالكسرة، فصارت هارٍ، وكذلك غيرها من الكلمات التي جاءت على النمط نفسه، التي على وزن فالٍ.[٢]

- **القلب المكاني في كلمة (ملائكة):**

يقول الخزَّاز:"والله تبارك وتعالى يقول"وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا"[٣]، وهم الرُّسل، واللفظ موحَّد، والعرب تتسع في واحده وجمعه، وتقديم همزه وتأخيره، فقال: عدِّي بن زيد: **أبلغ النعمان عنّي مألُكًا**.[٤] فالجمع على هذا اللفظ: ملائك، الهمزة مؤخرة، والأصل تقديمها، كما قال لبيد:

وغــلامٍ أرســلتُه أمُّهُ * بِألُوكٍ فبــذلنا ما ســألْ**[٥]

... وهم يُقدِّمون في كلامهم الهمزة، ويؤخرونها اتساعًا.[٦]

---

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢٦٧-٢٦٨

(٢) انظر: الدر المصون ١٢٥/٦-١٢٦، ومما وجب ذكره-هنا- أنَّ هناك بعضًا من اللغويين ذهب إلى استحسان القول بأنَّ هذه الكلمات حدث فيها حذف لعين الكلمة، ولم يحدث فيها قلب مكاني، ومن أصحاب هذا الرأي: سيبويه، حيث استحسن القول بالحذف فيها إلى جانب القول بوقوع القلب المكاني، وكذلك مكيّ القيسي، بيد أنه رفض القول بالقلب المكاني، مثبتًا الحذف فقط، وهو قول لابن يعيش في شرح المفصل، ورجَّح القول بالحذف أبو حيان، وجعله الأكثر، انظر: الكتاب ٣٧٨/٤، مشكل إعراب القرآن ٣٣٦/١، شرح المفصل لابن يعيش ٤٠٥/٣، ارتشاف الضرب من لسان العرب ٢٤٥/١-٢٤٦

(٣) سورة الحاقة، جزء من الآية ١٧

(٤) هذا صدر بيت من بحر الرمل، وعجزه: أنّه قد طال حبسي وانتظاري، انظر: ديوان عدِّي بن زيد العبادي، ص/٩٣، والشعر والشعراء ٢٢٣/١

(٥) البيت من بحر الرمل، وهو من شعر لبيد، انظر ديوان لبيد ٩١/١، وخزانة الأدب ٢٩٧/٩، واللسان ٣٩٢/١٠، وشرح شافية ابن الحاجب ٨٨/٤

(٦) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢١١-٢١٢

إذن الخـزَّاز يـرى أنَّ كلمـة "ملائـك" ناتجـة عـن حـدوث قلـب مكـاني، فالأصـل فيها :مألـك:أي يجـوز أن تقـع الهمـزة فيهـا فـاءً أوعينًـا علـى القلـب المكاني.قال الزبيديُّ: والملائكة: جمع (مَلأَك) في الأصل، ثم حُذفت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: مَلك، وقد تحذف الهاء فيقال: ملائك، وقيل: أصله (مَأْلَك)، بتقديم الهمزة من الألوك، الرسالة، ثم حدث قلب مكاني في الكلمة فأخِّرت الهمزة، وتقدمت اللام، فصارت:مَلأك، ثم خففت الهمزة بحذفها، ونقل حركتها إلى اللام الساكنة قبلها، فصارت ملك على وزن"مَعَل"، وترد الهمزة عند الجمع، فتصير :ملائك، وملائكة.[١] يقول**ابن سيده:**"قال كُراع : المألك : الرسالة، ولانظيرلها، أي: لم يجيءعلى(مَفْعُل) إلا هي. وألكه يألكه ألكا:أبلغه الألوك .والملك: مشتق منه، وأصله: مَأْلَك، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام، فقيل:ملأك، ثم خففت الهمزة؛ بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها، فقيل: ملك ... والجمع :ملائكة، دخلت فيها الهاء، لا لعجمة، ولا لعوض، ولا لنسب، ولكن على حد دخولها في القشاعمة، والصياقلة ." [٢]

- **القلب في كلمة (يُستراء):**

قال الخزَّاز:"وهم يُقدِّمون في كلامهم الهمزة، ويؤخرونها اتساعا، كما قال:

تَقـرَّبَ يخبو ضـوؤه وشعاعه ***ويمحصُ حتى يُستراء فلا يـرى[٣]

---

(١) انظر: تاج العروس ٣١٧/٢٧، واللباب في علل البناء والإعراب ٢٥٩/٢، وشرح شافية ابن الحاجب ٨٨/٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣٥٩/٤

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم ٨٩/٧ ، تاج العروس ٣١٧/٢٧ ، وجدير بالذكر أنَّ ابن سيده–في محكمه–قدَّم باب (مألكة) على (ملأكة)، وعلل ذلك بقوله: " لأنَّ مأْلكة أصل، وملأكة فرع مقلوب عنها.انظر: المحكم والمحيط الأعظم ٩٠/٧

(٣) البيت من بحر الطويل، وقد نُسِب لحسَّان السَّعدي، انظر: كتاب النوادر في اللغة، ص/٣٥٧–٣٥٨ بلفظ مختلف عن هذه الرواية التي عند الخزَّاز، وبلا نسبة في اللسان ٣٠٤/١٣

تقديره:يُستراء، والأصل:يُسترأى، أي:يُستفعل من:رأيت.(١) **قال ابن منظور**:قال الليث:... ومن قلب الهمز من رأى، قال:راءٍ، كقولك:نأى وناء.(٢) والأصل: يُسترأى، وزن (يُستفعل)، ثم حدث فيها قلب مكاني ، فصارت :يُسترأى، وزن:يُستفلع، حيث تأخرت العين، وتقدمت اللام.

الصورة السابعة:المخالفة الصوتية:

قال الخزَّاز:"وقالت العرب في المثل: الطريق يطؤنا:أي:أهل الطريق، وما زلنا نطأ السماء، يعنون المطر، ويُنشدون:

وأعورَ مِنْ نَبْهانَ أيما نَهارُهُ * فأعمى وأيما ليلُه فبصيرُ**

وإنما هو الأعمى لا النهار، و(أمَّا وأيما) واحدٌ.(٣)والأصل في "أيما":(أمَّا)، حيث حدث فيها تخالف صوتي بين صوتي الميم، فأبدلت إحداهما إلى حرف آخر قريب من الميم، وهو الياء، وهذه العملية الصوتية تسمَّى بالمخالفة الصوتية، وهي عكس ظاهرة المماثلة الصوتية-التي أشرنا إليها في البحث سالفًا-، والتي تسعى إلى التخلص من توالي الأمثال؛ لما فيه من ثقل التضعيف؛ ومن ثم لجأت اللغة إلى المخالفة الصوتية كصورة من صور التفسُّح الصوتي في اللغة؛ تخلصًا من ثقل التضعيف، وفي هذا عدول عن الأصل.وقد أشار إليها **سيبويه** في كتابه، وبوّب لها بابًا وسمه بـ"هذا باب ما شذَّ فأبدل مكان اللام الياء؛ لكراهية التضعيف، وليس بمطرد" وذلك قولك:تسرَّيتُ، وتظنَّيت، وتقصَّيت من القصة، وأمليت ... والأصل: تسرَّرت، وتظنَّنت...، وأمللت.(٤)

(١) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢١١-٢١٢

(٢) انظر: اللسان ٣٠٤/١٤، وتهذيب اللغة ٢٢٣/١٥

(٣) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/٢٠٩، والبيت الشعري من بحر الطويل، وهو لجرير في ديوانه بلفظ (أمّا) وليس(أيما)، ص/٢٦٦، وبلا نسبة في الإبانة في اللغة العربية ١٣٢/١

(٤) انظر: الكتاب ٤٢٤/٤

وجنح ابن يعيش إلى أنَّ الكلمتين لغتان من لغات العرب، حيث قال: "قد أبدلت الياء من حروف صالحة العدة على سبيل الشذوذ، ولا يقاس عليه، ونحن نسوق الكلام على حسب ما ذكره .من ذلك قولهم: أمليت الكتاب، قال الله تعالى: "فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا" (١) والأصل: أمللت، وقال الله تعالى: "وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ"(٢) والوجه أنهما لغتان؛لأن تصرفهما واحد، تقول:(أملى الكتاب يُمليه إملاءً)، و(أملَّه يُمِلَّهُ إملالا)، فليس جعلُ أحدهما أصلا والآخر فرعا بأولى من العكس، وقالوا:"قصَّيت أظفاري" حكاه ابن السِّكِّيت في "قصَّصت "، أبدلوا من الصاد الثالثة ياء؛ لثقل التضعيف..." (٣)

ورأى الدكتور إبراهيم أنيس–في هذه الظاهرة–صورة من صور التطور التاريخي للأصوات، حيث قال: من التطورات التي تعرض –أحيانا– للأصوات، ما يمكن أن نسميه بالمخالفة، وهي أنَّ الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كُلَّ المماثلة، فينقلب أحدهما إلى صوت آخر؛لتتمَّ المخالفة بين الصوتين المتماثلين.وهذه الظاهرة شاعت في كثير من اللغات السامية، وليست هذه الظاهرة إلا تطورا تاريخيا في الأصوات.(٤)

وأرجع الدكتور **رمضان عبد التواب** وجودها في اللغة إلى تحقيق عنصري السهولة، والتيسير في النطق، حيث قال: "السبب في المخالفة من الناحية الصوتية هو أنَّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي، يقلب أحد الصوتين صوتا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهودا عضليا، كاللام، والميم، والنون."(٥) إذن التخفيف، وتحقيق سهولة النطق، والتخلص من

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية /٥
(٢) سورة البقرة، جزء من الآية /٢٨٢
(٣) انظر: شرح المفصل ٥/٣٧٤– ٣٧٥
(٤) انظر: الأصوات اللغوية، ص/١٣٩
(٥) انظر: التطور اللغوي، ص/٦٤

ثقل الصوتين المتماثلين، هو الداعي لحدوث هذه الصورة التفسُّحية في اللغة.وقد عزا **ابن منظور** هذه الصورة من التفسُّح الصوتي اللغوي إلى لهجة تميم، وقيس، في حين أبقت لهجة الحجاز ، ومن جاورها على الأصوات المتماثلة، دون المخالفة بينها.(١)

الصورة الثامنة: زيادة الصوامت:

يقول الخزَّاز:"والسَّخت: الشديد بالفارسية والعربية. وتقول: السِّختيت، والسَّخت على وزنين، والأمر واحد، قال:

هل يُنْجِيَنِّي حِلفٌ سِخْتيتُ * أو فضةٌ أو ذهبٌ كِبريت**

أي: يمين شديدة. والفرس يقولون: سقْ كندي سخت.كما قالت العرب:قسم شديد.فاتفاق مثل هذا غير ضائر.(٢) قال ابن الأعرابي:سختيت:أي شديد، أصله سَخت–بالفارسية–للشيء الشديد، فلما عُرِّب قيل: سِختيت.وقال أبو عمرو: السِخْتيت: الدقيق من كل شيء.(٣)

وقال ابن سِيْده: "يُقال أنَّ السِّختيت فارسية، اشتقها رؤبة من الفارسية من قولك:سَخْت، حيث يقول:هل ينجيني حلف سختيت ؟.(٤)

وقال أبوعليّ:السِّختيت من السَّخت، كزِحليل من الزَّحْل.(٥)إذن فالكلمة أصلها الفارسي "سَخْت"، فلما عرَّبتها العرب زادت عليه حروفًا؛ توسُّعًا وتفسُّحا، فصارت:"سِختيتا"، وعُدَّت هذه الزيادة تفسُّحا في اللغة؛لأنّ زيادة

(١) انظر: اللسان ١٤/١٢٨–١٣٠، واللهجات العربية في التراث ١/٣٤٩–٣٥١

(٢) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/ ١٥٠، والبيت الشعري من بحر الرجز، منسوب لرؤبة في ديوانه بلفظ (هل يُعصمني) انظر: ديوان رؤبة، ص/٢٦، والخصائص ١/ ٣٥٨، والمخصص ١/٤٣٧، وتهذيب اللغة (بلفظ هل ينفعني): ٧/٧٥، واللسان ٢/٤٢، وبلا نسبة في تاج العروس ٤/٥٥٤

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٧/٧٥، وتاج العروس٤/٥٥٤

(٤) انظر: المخصص ١/٤٣٧

(٥) انظر: تاج العروس ٤/٥٥٤

الصوامت فيها عدول عن الأصل، إذ الأصل عدم زيادة الحروف، سواء أكان ذلك في تعريب، أم في غير تعريب.

وقد وسم **ابن يعيش** زيادة الصوامت بقوله: "إلحاق الكلمة من الحروف ما ليس فيها، إمَّا لإفادة معنى، كألف:ضارب، وواو مضروب، وإما لضرب من التوسُّع في اللغة، نحو: ألف "حمار"، وواو "عمرو"، وياء "سعيد" [١] **وجنح ابن جني** إلى أنَّ زيادة الحروف مطردة، وكثيرة، وتأتي على غير قياس.[٢]

الصورة التاسعة: تسهيل الهمزة بإبدالها ياءً:

يقول الخزَّاز:فأمَّا "هَيْتَ لك"[٣] فقيل:بالنبطية:هلمَّ لك، فكان أحمد صاحب اللؤلؤي عالمابالعربية، فأتى أبا عمرو بن العلاء يسأله عن "هَيْتَ لك": أليس هي من تهيأت لك؟ قال:تيشي، قال أبو محمد التوزي، يقال للرجل إذا حَمُق: تيشي.... ثم قال أبو عمرو للؤلؤي:قم، فاعترض العرب الآن ما بين الخندق إلى اليمن، فإن وجدت عربيًّا يعرفها، فقد صدقت بأنها من تهيأت لك، إنما هي معرَّبة " هيت لك" مفتوحة الهاء، ومعناها:هلمَّ لك... واللغة واسعة المجال، وكل هذا عربيٌّ صحيح أو معرَّب فصيح.[٤]

فالخزَّاز –في تعقيبه على هذا الحوار– جعل تسهيل الهمزة بابًا من أبواب التفسُّح الصوتي في اللغة، حيث إنَّ الأصل هو الهمز، ثم حدث تسهيل للهمزة، طبقا للقواعد الصوتية، فسُهِّلت الهمزة بقلبها ياء، فأصل: "هيت لك" يمكن حملها على" هِئْتُ لك" بمعنى تهيأت لك، حيث سكنت الهمزة وقبلها حرف مكسور، فتسهل بإبدالها حرفًا من جنس الحركة التي قبلها، وهو

(١) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٣١٤/٥

(٢) انظر: الخصائص ٢٨٤/٢

(٣) سورة يوسف، جزء من الآية /٢٣

(٤) انظر: التفسُّح في اللغة، ص/١٢٢–١٢٩، ويفهم من عبارة الخزَّاز الأخيرة، التي ذيَّل بها كلامه، أنه أجاز الوجهين معا، توسُّعًا وتفسُّحا في اللغة.

الياء.ويدعم هذا الوجه من التفسُّح، ورود عدة قراءات قرآنية شاذة على هذا المعنى، منها:قراءة "هُيِّــئتُ لك"، و"هُييتُ لك" بتسهيل الهمزة عن ابن عباس، و"هِئْتَ لك"، رواها الحلواني عن هشام، و"هِئْتُ لك" قرأها علي بن أبي طالب، وأبو رجاء العطاردي، وابن محيصن.(١)

قال ابن جني: وأمَّا"هِئْتُ لك"بالهمز وضم التاء فَفِعْل، يقال فيه:هِئْتُ أهيء هيئة، كجئت أجيء جيئة، أي:تهيأت.(٢)

وقال العكبريُّ:وهي لغة العرب، يبدلون الهمزة الساكنة ياء، إذا انكسر ما قبلها ، نحو: بير، وذيب في بئر وذئب.(٣)

وقال أبو حيان:يُقال:هَيْتَ وتهيأت بمعنى واحد.(٤)وقال –أيضا– معقِّبًا على قراءة ابن عباس "هُييتُ": "فإنها فعل مبني للمفعول مُسهَّل الهمزة من هيأت الشيء، وإلا من ضمَّ التاء، وكسر الهاء، سواء همز أو لم يهمز، فإنه يحتمل أن يكون اسم فعل، كحالها عند فتح التاء أو كسرها، ويحتمل أن يكون فعلا واقعا ضمير المتكلم من هاء الرجل يهيء إذا أحسن هيئته، مثال:جاء يجيء، أو بمعنى تهيأت.(٥)

إذن حدث تسهيل للهمزة بإبدالها ياء، طبقا للقانون الصوتي، الذي ينص على أنّ الهمزة الساكنة بعد كسر، تقلب ياء، وهذا التسهيل مظهر من مظاهر التفسُّح الصوتي في اللغة، وتسهيل الهمزة–بصورها– المختلفة– يُعزى

---

(١) انظر: المحتسب ٣٣٧/١، الدر المصون ٤٦٤/٦، ومختصر في شواذ القرآن، ص/٦٧، والبحر المحيط ٢٩٤/٥–٢٩٥

(٢) انظر: المحتسب ٣٣٧/١

(٣) انظر: الدر المصون ٤٦٥/٦

(٤) انظر: البحر المحيط ٢٩٤/٥، ولست–هنا–معنيًّا بدراسة الآراء المختلفة التي قيلت في هذه اللفظة ؛ بحثا عن أصلها، فقد تعددت الدراسات التي تناولت ذلك، وأرى أنه لا جدوى –هنا– من إعادة ذكرها.

(٥) انظر: البحر المحيط ٢٩٤/٥

إلى أهل الحضر، كالحجاز، وما جاورها؛ لأنه متوافق مع طبيعتهم التي تميل إلى التؤدة والهدوء؛ ومن ثم كان عندهم وقت كافٍ للقيام بعملية التسهيل، في حين مالت القبائل البدوية، كقيس، وتميم، وغيرهما من القبائل المجاورة إلى الهمز، كمظهر من مظاهر الخشونة، والشدة، اللتين تتناسبان مع البيئة البدوية، وتضاريسها.(١)

(١) انظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣/٣١-٣٢، والأصوات اللغوية، ص/٩٠-٩١.

النتـــائـــج

بعد الدراسة والتحليل لموضوع البحث، تمخض عن هذا البحث مجموعة من النتائج، هي:

- أبرزت الدراسة أهمية كتاب التفسُّح في اللغة للخزَّاز؛ إذ إنه أول مؤلف لغوي موجَّه للحديث عن ظاهرة التفسُّح بصورها المختلفة، على المستويات اللغوية كافة.
- اللغة العربية –بماحباها الله من إمكانات– من أكثر اللغات قدرة على التفسُّح والتوسُّع.
- تنوع صور التفسُّح الصوتي في كتاب الخزَّاز، ما بين الإمالة، والإبدال، والإتباع، وغير ذلك، وهذا يشي بسعة انتشار التفسُّح الصوتي في اللغة، كمظهر من مظاهر التخفيف في النطق، وهذا التخفيف يُعدُّ غرضا أساسيًّا من أغراض التفسُّح الصوتي.
- الخزَّاز – صاحب كتاب التفسُّح في اللغة– عقلية علمية منظمة قادرة على التحليل، وهذا يظهر من خلال تحليله لصور التفسُّح الصوتي في كتابه التفسُّح في اللغة.
- الإبدال الصوت ي–بصوره المختلفة– من أكثر الصور الصوتية التفسُّحية اللغوية ورودًا في الكتاب، وهذا يعني أنه من أكثر الظواهر الصوتية انتشارًا، واستعمالًا في كلام العرب.
- صور التفسُّح الصوتي اللغوي في الكتاب أظهرت أنَّ اللغة العربية قادرة على التوليد، والتطور، والتخلص من كل ما هو ثقيل على اللسان.
- أغراض التفسُّح الصوتي –بوجه عام– تتشابه مع أغراض التفسُّح في المستويات اللغوية الأخرى.
- لم يتناول الخزَّاز – في كتابه– كلَّ صور التفسُّح الصوتي في اللغة، بل تناول غالبيتها.

- استطاعت الدراسة وضع تعريف موجز لمصطلح التفسُّح الصوتي، وكذا أغراضه، والفرق بينه وبين التفسُّح في المستويات اللغوية الأخرى.

المراجـــع

١- الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم الصحاري، تحقيق عبد الكريم خليفة وآخرين، الناشر وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢- الإبدال إلى الهمزة وأحرف العلة في ضوء كتاب سر صناعة الإعراب، أبو أوس إبراهيم الشمسان، بحث منشور بحولية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، الكويت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣- أبو الحسين النحوي وكتابه التفسُّح في اللغة، دراسة وتقويم، سارة الحربي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، ٢٠١٧م.
٤- الاتساع اللغوي بين القديم والحديث، تأليف عطيه نايف الغول، مكتبة البيروني ناشرون، عمان ، الأردن، ٢٠٠٨م.
٥- الاتساع في اللغة عند ابن جني، حسن سليمان حسين، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٢م.
٦- الاتساع وأثره في اللغة، نايف محمد العثمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
٧- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٨- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق رجب عثمان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٩- أسرارالعربية، لابن الأنباري، تحقيق بركات يوسف هبود، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٠-الأشباه والنظائر، السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
١١-الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر.

١٢-الأصول في النحو، لابن السَّراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
١٣-إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٢م.
١٤-الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٥-البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الوجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
١٦-البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، دار الفكر، لبنان، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
١٧-تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، دار الفكر، بيروت، ط١ ، ١٤١٤هـ.
١٨-تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن ثابت للبغدادي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
١٩-التطور اللغوي، مظاهره، وعلله، وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢٠-التفسُّح في اللغة، رواية أبي الحسين عبد الله بن محمد بن سفيان النحوي الملقب بالخزَّاز، تحقيق عادل هادي العبيدي، دار دجلة، عمان، الأردن، ط١ ، ٢٠١١م.
٢١-تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط ٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٢-تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، ط١ ، ٢٠٠١م.
٢٣-التوسُّع في كتاب سيبويه، عادل العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٤م.
٢٤-الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢٥-جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر للنشر والتوزيع.
٢٦-جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧م.
٢٧-حاشية الشهاب الخفاجي، على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، دار صادر، بيروت.
٢٨-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لمحمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٢٩-الحجةفي علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٣م.
٣٠-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، تحقيق إميل يعقوب، ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.
٣١-الخصائص، لابن جني، تحقيق محمدعلي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة العلمية ، ط٢.
٣٢-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم ، دمشق.

٣٣-دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٤-ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، تحقيق محمد حسين، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٢٧م.
٣٥-ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق سجيع جميل الحبيلي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
٣٦-ديوان تأبط شرًّا وأخباره، تحقيق علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٧-ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.
٣٨-ديوان رؤبة بن العجاج ضمن مجموع أشعار العرب، اعتنى به وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة، الكويت.
٣٩-ديوان عُدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد صبار المعيبد، نشر سلسلة دار التراث ، بغداد ، العراق، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
٤٠-ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به حمدو طماس، ديوان المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٤١-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة الآلوسي، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م
٤٢-سر صناعة الإعراب، لابن جني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٤٣-شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن الأشموني، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٤-شرح التسهيل المسمَّى (تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد)، لناظر الجيش، تحقيق علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٤٥-شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٦-شرح المفصل لابن يعيش، تحقيق إميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٧-شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل الصاوي، مكتبة الصاوي، ط١.

٤٨-شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الأستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٩-الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ.

٥٠-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس، تحقيق أحمد حسن البسج، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥١-الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤ ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥٢-الصوتيات، برتيل مالمبرج، ترجمة محمد حلمي هليل، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٥٣-ضرائر الشعر، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م.

٥٤-ظاهرة الاتساع في الدرس النحوي، قراءة في فكر أبي علي الفارسي، رياض عبود الحسيني، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، العراق، العدد ٦٣، المجلد ٢٠١٣م.

٥٥-ظاهرتا مد المقصور وقصر الممدود، وتفسيرهما الصوتي في ضوء معطيات الدرس اللغوي، حسين شحاتة، بحث منشور بمجلة كتابات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، العدد ١٠، ديسمبر ٢٠١٣م.

٥٦-علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، ط١.

٥٧-فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، ط٢، ١٩٦٤م.

٥٨-الفهرست لابن النديم، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٩-في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣ ، ٢٠٠٣م.

٦٠-القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦١-قراءة يحي بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي، أحمد طه حسنين، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٦٢-الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٦٣-كتاب الإبدال، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق عزالدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

٦٤-كتاب النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق ، ط١ ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٦٥-الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٨م.
٦٦-اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، تحقيق عبد الإله النبهان، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٦٧-لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ٤٠١هـ-١٩٨١م.
٦٨-لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣ ، ١٤٢٤هـ.
٦٩-اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.
٧٠-اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٩٦ م.
٧١-المبدع في التصريف، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عبد الحميد طلب، مكتبة دارالعروبة ، الكويت، ط١ ، ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢م.
٧٢-المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٧٣-المحصول في شرح الفصول، لابن إياز البغدادي، تحقيق شريف النجار، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٧٤-المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.
٧٥-مختار الصحاح، للرازي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، والدار النموذجية ، صيدا ، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٧٦-مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

٧٧-المخصص، لابن سيده، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٧٨-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٣ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٧٩-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٨٠-مشكل إعراب القرآن، لمكي القيسي، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٨١-معاني القرآن، للفراء، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١.
٨٢-معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأيف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٣ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٨٣-معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٨٤-المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي ، وضع حواشيه ، وعلق عليه خليل عمران المنصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
٨٥-المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداووي، دار القلم ، الدار الشامية، دمشق، بيروت ط ١، ١٤١٢هـ.
٨٦-مفهوم الاتساع، وضوابطه في النحو، بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن، شبكة الألوكة (www.aluka.net).
٨٧-المقتضب، للمبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٨٨- الممتع في التصريف، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ، ط٨ ، ١٩٩٦م.
٨٩- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.
٩٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٣٥٨هـ.
٩١- المنصف شرح كتاب التصريف للمازني، لابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفي، وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، ط ١، ١٩٥٤م.
٩٢- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق محمد علي الضبَّاع، دار الكتاب العلمية، القاهرة.
٩٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٩٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب ، القاهرة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.